مجلة جامعة البعث

سلسلة العلوم التاريخية و الاجتماعية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 43 . العدد 6

1442 هـ - 2021 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. ناصر سعد الدين	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. درغام سلوم	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.
2. دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .
3. دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .
4. دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
الشرطة في العصور الإسلامية	محمد خير مرعي د. عمار النهار	54-11
وقف الإنارة على المنشآت التعليمية والدينية في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام والحجاز	آلاء محمد جبري أ.م.د: أسماء الفوّال د.م. محمّد علاء شعلان	70- 55
البيمارستان النوري في دمشق والواقع الخدمي داخله منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي حتى الوقت الحاضر (دراسة تاريخية وأثرية معمارية)	انس صبحي نصار أ. د فايزة محمد الكلاس	108-71
دراسة مقارنة بين طبقات المجتمع في عصر الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين (434-668 هـ/1042-1269م)	انس صبحي نصار أ. د فايزة محمد الكلاس	132-109

الشرطة في العصور الإسلامية

الطالب: محمد خير عبد الله مرعي د: عمار النهار جامعة دمشق/ ماجستير تاريخ العرب والإسلام

الملخص

تعد الشرطة إحدى النظم المهمة التي قامت في الدولة الإسلامية، حيث ظهرت معالمها الأولى و تطورت بتطور الدولة واتساع رقعة حدودها في العهد النبوي والخلفاء الراشدين، ولا سيما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سن نظام العسس وكذلك في عهد الخليفة عثمان والخليفة علي رضي الله عنهم، واستجابة لظروف تاريخية معينة أدت لتعميم هذا النظام في الأمصار الإسلامية.

وخلال العصرين الأموي والعباسي تطور جهاز الشرطة واتسع نطاق فاعليته ومسئولياته وتنوعت اختصاصاته، فأصبح للشرطة ديوانا خاصا يرأسه صاحب الشرطة يتخذ له مساعدين وأعواناً، مهمته تنظيم أمور أفرادها وتنفيذ المهام الملقاة على عاتقهم في حفظ الأمن والاستقرار في الولاية، كما أصبح لهم زيهم وملابسهم وأسلحتهم ومرتبات خاصة بهم.

وقد بقي هذا التطور قائماً عبر مر العصور الإسلامية في الأندلس والمغرب وفي عصر المماليك، وأصبحت أكثر تنظيماً ومن أكبر الوظائف في الدولة الإسلامية.

كما ارتبطت الشرطة بغيرها من النظم الاسلامية كالحسبة والقضاء، واتفقت في مهامها وواجباتها وأهدافها في بعض الجوانب واختلفت في جوانب أخرى.

الكلمات المفتاحية: النظم الإسلامية، جهاز الشرطة العربية الإسلامية، الحضارة العربية الإسلامية.

Police in the Islamic Ages

ABSTRACT

The police is considered one of the important systems that were established in the Islamic state, where its first features appeared and developed with the development of the state and the expansion of its borders during the era of the Prophet and the Rightly Guided Caliphs, especially during the reign of Omar bin al-Khattab(may God be pleased with him) when the night watchmen system was enacted, as well as during the reign of Othman and Ali(may God be pleased with them), And in response to certain historical circumstances that led to the generalization of this system in the Islamic regions .

During the Umayyad and Abbasid eras, the police system developed and the scope of its effectiveness and responsibilities expanded and its specializations varied, so the police had a special office headed by the police chief with assistants whose task was to organize the affairs of its members and carry out the tasks entrusted to them in maintaining security and stability in the state. Moreover, they got their own uniforms, clothes, weapons and salaries.

This development remained in place throughout the Islamic ages in Andalusia, the Maghreb and the Mamluks, and it became more organized and one of the largest jobs in the Islamic state.

The police was also associated with other Islamic systems such as al-Hesbah and the judiciary, and they were similar in their tasks, duties and goals in some aspects, and differed in others.

Key words: Islamic systems, Arab Islamic police Service, Arab-Islamic civilization.

مقدمة.

لم تكن الرسالة التي حملها سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم مجرد رسالة روحية ترتكز على علاقة الانسان بربه، بل كانت رسالة ذات شريعة ترتكز أيضاً على ما ينظم علاقات الإنسان بأخيه الإنسان وبالكون كله، وتنظيم جميع أموره وشؤونه المعيشية والمادية على حد سواء، بما يحفظ له حياة كريمة بعيدة عن كل أنواع الظلم والفساد.

فالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة، أقام دولة تحكمها الشريعة الإسلامية وتطبق نظمها ومبادئها على جميع الناس سواسية، هذا النهج الذي اتبعه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم سار عليه الخلفاء الراشدين والمسلمين من بعده في العصرين الأموي والعباسي، ثم إلى عهد الدويلات التي انفصلت عن الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني، وصولاً إلى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية والمملوكية، فحكموا وسادوا البلاد وأقاموا خلافة وحضارة زاهرة لم يغفل العالم كله عن ذكرها ولو للحظة واحدة.

بعد ذلك تتابعت القرون فإذا بهؤلاء المسلمين يبتعدون شيئا فشيئا عن هذه النظم وتطبيقها حتى كان العصر الحالي، وتخلي الكثير منهم عنها واستبدالها بنظم وشريعة ناقصة.

هذه النظم هي عبارة عن القواعد والمبادئ التي تجمع ما يرسم للناس منهاج وطريقة حياتهم وتهديهم وتوجههم إلى ما ينبغي أن يسيروا عليه في كل شؤونهم، ويقيموا على أساسه جميع سلوكهم وكل تصرفاتهم[1].

هذه النظم هي الحسبة والمظالم والشرطة في العصر الإسلامي، والتي عنيت عناية كبيرة بالعدل وإنصاف المظلوم ورد الحقوق إلى أصحابها ومحاربة الفساد والظلم وحماية المجتمع وأفراده من الانحراف.

[1] – **محمد**، اسماعيل علي: **مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية**، دار النداء، اسطنبول، الطبعة الأولى، 2014م، ص12.

1- إشكالية البحث وأهميته:

تأتي أهمية البحث كونه يسلط الضوء على مدى أهمية النظم الإسلامية في العصر الإسلامي **(الشرطة)**، والتي كانت تمثل نظاماً إدارياً لحفظ الأمن والاستقرار.

ونظراً لأهمية الشرطة كنظام يحقق الأمن والاستقرار لدى حكام وولاة العصر الإسلامي واهتمامهم به وحرصهم على تطبيقه.

كما مثلت الشرطة جانباً مهماً من جوانب حضارتنا الإسلامية العريقة والتي لم يغفل العالم عن ذكرها، والتي شكلت الركيزة الأساسية لتطبيق العدل ومنع الظلم بين أفراد وأصحاب السلطة والنفوذ في العصر الإسلامي.

2- صعوبات البحث :

تعددت الصعوبات التي واجهت البحث وأهمها طول الفترة الزمنية منذ العصر النبوي وحتى نهاية العصر العباسي للحصول على المصادر والمراجع المتعلقة بهذا البحث، وصعوبة الحصول على البعض منها بحجة إنها غير صالح للإعارة.

والكثير من الدراسات التي تناولت دراسة الشرطة في العصر الإسلامي كانت دراسة فقهية بحتة، مما فرض جمع المعلومات من المراجع التي توفرت والتي كانت ذات دراسة تاريخية.

3- خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وعدة فقرات وخاتمة وقائمة بأسماء المصادر والمراجع التي تم استخدامها في البحث.

حيث اشتمل البحث على مفهوم الشرطة لغةً واصطلاحاً.

كما نوّه البحث إلى لفظ الشرطة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية والمسميات التاريخية للشرطة.

وتم التطرق إلى تطور وظيفة الشرطة في العصر الإسلامي، لا سيما التعريف بشروط صاحب الشرطة والمسؤوليات الملقاة على عاتقه في حفظ الأمن والاستقرار في الولايات، وأشار البحث أخيراً إلى أهم الاسلحة التي كان يستخدمها صاحب الشرطة ولباسه ومرتباته.

وفي سبيل التوضيح تم الالتفات إلى الصلات التي تربط النظم الإسلامية بعضها مع بعض (الحسبة والقضاء والشرطة).

ثم الخاتمة والتي تضمنت أبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة في هذا البحث، وأخيراً قائمة بأهم **المصادر والمراجع** المستخدمة في هذا البحث.

4- عرض البحث والمناقشة والتحليل.

أولاً- مفهوم الشرطة:

1- الشرطة لغة:

تعني الشرطة في اللغة المختار من كل شيء، وشرطة كل شيء خياره، وشرطة الفاكهة أطيبها، ورجل شرطي (بضم الشين وسكون الراء أو فتحها) منسوب إلى الشرطة، والجمع شرط (بضم الشين وفتح الراء)[1].

[1]- **ابن منظور**، جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1968م، ج1، ص329.

2- الشرطة اصطلاحاً: يمكن أن تعرف بتعريفين اثنين:

- **من حيث القائمين بأعبائها:** هم الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الحاكم والوالي في استتباب الأمن وحفظ النظام، والقبض على الجناة والمفسدين، وما إلى ذلك من الأعمال الإدارية التي تكفل سلامة الجمهور وطمأنينتهم.

- **من حيث أنها ولاية:** هي الهيئة النظامية المكلفة بحفظ الأمن والنظام، وتنفيذ أوامر الدولة وأنظمتها [1].

3- المسميات التاريخية للشرطة :

لقد وردت عدة مسميات تاريخية للشرطة وهي:

أ- **المعونة:** لفظ يطلق على الشرطة لأنها تتولى معاونة الحكام في القيام بما يكلفون به من الأمور، كما يقدمون كل عون ومساعدة لأفراد الشعب في إحقاق الحق ودفع المضرة، وتوفير جو من الطمأنينة والأمن والاستقرار.

ب- **الشحنة:** من أقامهم السلطان لضبط المكان، وتأتي بمعنى الحامية من الجند المعد للسيطرة على القلاقل والفتن، كما ترد أيضاً بمعنى قائد الشرطة أو الحاكم العسكري للمنطقة، ووردت هذه الكلمة في المشرق العربي في عصر السلاجقة للدلالة على شرطة الأقاليم.

ت- **العسس:** جمع عاس وهو الذي يطوف ليلا ويحرس الناس ويأمنهم على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ويتتبع اللصوص والعيارين ويكشف أهل الريب والشبهات، وهو

---

[1]- **الغزالي،** أبي الحامد محمد بن محمد (ت505هـ - 1111م): **إحياء علوم الدين،** دار الفكر، بيروت، لبنان، 1409هـ-1989م، ج2، ص 145. **الحميداني،** نمر بن محمد: **ولاية الشرطة في الاسلام دراسة فقهية- تطبيقية،** دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م، ص19.

الأساس الأول لوجود نظام الشرطة في الدولة الإسلامية منذ أن قام به عدد من الصحابة في عهد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وعهد أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهذا النشاط اختفى بظهور نظام الشرطة مع تتطور العصور[1].

أما فيما يخص مسميات الجلواز والتؤرور فتعني:

أ- **الجلواز**: بالكسر، الشرطي أو التؤرور والجمع جلاوزة، وجلاوزته: هي عبارة عن خفته بين يدي العامل، يستخدمها في ذهابه وإيابه.

ب- التؤرور: بمعنى العون، ويكون مع السلطان بلا رزق، وقيل الجلواز وذهب الفارسي للقول إلى أنها تفعول من الأز وهو الدفع[2].

ثانياً- لفظ الشرطة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

1- الشرطة في القرآن الكريم:

لم ترد لفظة شرطة في القرآن الكريم، وإنما وردت فيه كلمة الأشراط في قوله سبحانه وتعالى: ((فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم))[3]، والتي أخذت كلمة الشرطة من معناها.

---

[1]- **الأصبيعي**، محمد ابراهيم: **الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية دراسة مقارنة**، المكتب العربي الحديث، الأسكندرية، د.ت، ص12-13. **الكرمي**، حافظ أحمد عجاج: **الإدارة في عصر الرسول دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى**، دار السلام للطباعة و النشر، القاهرة ، 2006 م، ص243.

[2]- **الحميداني: ولاية الشرطة في الإسلام**، ص20.

[3]- القرآن الكريم، سورة **محمد**، آية 18.

وكلمة الأشراط في الآية الكريمة جمع ومفرده شرط، وهي علامات قيام الساعة وبداياتها، ففي تفسير الطبري لهذه الآية قال: وواحد الأشراط شرط، ومنه شرط فلان نفسه إذ علمها بعلامة[1].

2- لفظ الشرطة في السنة النبوية الشريفة:

فهي كثيرة جداً وسيتم ذكر أهمها:

- قيل إنهم أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت كما جاء في حديث عن يسر بن جابر أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده ونحاها هكذا، نحو الشام؛ فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع أهل الإسلام لهم، قلت الروم تعني، قال: نعم، وتكون عند ذاتكم القتال ردة شديدة فيشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة[2].
- وفي الحديث أيضاً، عن أبي إمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليأتين عليكم أمراء يقربون أشرار الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منهم، فلا يكونن عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً).

---

[1]- **الطبري**، محمد بن جرير (ت310هـ-923م): **جامع البيان في تفسير القرآن**، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، 1905م ، ج26، ص33 .

[2]- **الحميداني: ولاية الشرطة في الإسلام** ، ص24. **الكرمي: الإدارة في عصر الرسول**، ص248.

- وهناك بعض الأحاديث الموضوعة وردت فيها لفظة شرطة، لكن لا يمكن الجزم بصحتها والتوقف عندها لأنها موضوعة وليست من كلام رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم منها:
- يقال للشرطي ضع سوطك وادخل النار، فيأتي الشرط إليه فعاتبوه على ذلك، فقال لهم: لا تضعوها وادخلوها معكم.
- الشرط كلاب أهل النار.
- الجلاوزة والشرط وأعوان الظلمة كلاب النار [1].

ثالثاً – التطور التاريخي لنظام الشرطة في العصر الإسلامي:

1- الشرطة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين:

لقد أضحت المدينة المنورة أو يثرب كما كانت تسمى قبل سنة **1هـ/ 622م** عاصمة الدولة الإسلامية، والتي أرسى قواعدها وأسس بنيانها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم للمدينة، وقيام الرسول بالمؤاخاة للمهاجرين مع الأنصار، أصبح هذا المجتمع الجديد يشكل نواة الأمة الإسلامية، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم المحور الذي تدور عليه مختلف القضايا، فإليه يأتي المسلمون يلتمسون الحل فيما يعترضهم من أمور حياتهم.

لذا اعتُقِدَ أنَّ نظام الشرطة قد وجدت نواته الأولى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن حاجة المجتمع الجديد الذي نشأ تدعوا إلى مراقبة الأعداء من كل صوب والضرب على أيدي الذين يثيرون الفوضى ويبثون السموم ويحاولون الاعتداء على دين الله ودماء وأعراض وأموال الناس.

[1]- **الحميداني: ولاية الشرطة في الإسلام**، ص22-25.

كما أن تعاليم الإسلام وتعاليمه الجديدة التي لم تكتمل بعد بحاجة إلى من يراقب تطبيقها في مرافق الدولة ليلاً نهاراً ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى أعوان ينفذون ما يقضي به ويقيمون حدود الله[1]. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يستعين ببعض الصحابة للقيام ببعض الأمور الأمنية في المناطق النائية في الدولة الإسلامية تحت رقابته وإرشاده ومن هذا ما نوهت إليه بعض المصادر، حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى نظام الشرطة في البحرين لأبي هريرة وتولى الصحابي سعد بن أبي الوقاص العسس في المدينة[2] .

فمن خلال الوثيقة الأولى التي كتبها الرسول صلى الله عليه وسلم يلاحظ في فصل من فصولها " ..... وأن المتقين على من بغى أو ابتغى وسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم "[3].

فمن خلال ذلك يستنتج أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل مهمة الإشراف على الأمن والنظام وحماية أملاك المسلمين وحماية المسلمين تقع على عاتق المسلمين عامة، وليس الأمر يتعلق بفرد معين من الأفراد.

وقد روت كتب الأحاديث والسيرة النبوية أن هناك بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يقوم بحراسته أثناء الغزوات :

فكان حرسه بغزوة بدر سعيد بن زيد الأنصاري، وعندما رجع منها كان دكوان بن عبد قيس هو الحرس، وفي غزوة أحد محمد بن مسلمة الأنصاري، وفي غزوة الخندق الزبير بن العوام وغيره، وفي غزوة خيبر ليلى بنت صفية أبو أيوب، وفي غزوة تبوك أبو قتادة ومن حرسه أيضاً سعد بن مالك وعائد بن عمرو المزني.

---

[1]– **النقرش،** اسماعيل: **نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية،** منشورات وزارة الثقافة، عمان، الطبعة الأولى، 2015م، ص16.

[2]– **الأصبيعي: الشرطة في النظم الإسلامية،** ص60.

[3]– **ابن هشام،** أبو محمد بن عبد الحميد (ت213هـ –828م): **السيرة النبوية،** تعليق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة الحجازي، القاهرة، ج2، ص121.

ولم يقتصر اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم على أنظمة العسس والحراسة الليلية في مجالات الأمن بل تجاوزها إلى كثير من الأعمال التي دعت إليها الحاجة، حيث أمر صلى الله عليه وسلم بالترسيم والملازمة في آداء الدين، كما أمر بالحبس في البيوت والمساجد، فمثلاً حبس بني قريظة في دار بنت الحارث وهي امرأة من الأنصار، وحبس بنت حاتم أخت عدي في حظيرة المسجد[1].

مما سبق يلاحظ مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم في إرساء الأمن والاستقرار في الدولة الاسلامية الأولى من أجل حماية الإسلام والمسلمين، فحض المسلمين على ضرورة المشاركة في الحراسات الليلية والحفاظ على استقرار وأمن المدينة والقيام بواجبات العسس.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها". وقال في موضع آخر: "عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله "[2].

- **أما الشرطة في عهد الخلفاء الراشدين:**

ففي عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه (11-13هـ/632-634م) كانت أعمال الشرطة في عهده شبيهة عما كانت عليه في أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث واجه الكثير من المشاكل والصعوبات الداخلية في عهده منها انشقاق الأمة الإسلامية ولاسيما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وظهور حركات الارتداد في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية، ولا سيما في اليمن وحضرموت وعمان،

---

[1]- **الأصبيعي: الشرطة في النظم الإسلامية**، ص62 . **حسين**، حاج حسن: **النظم الإسلامية**، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت . ط 1، 1460 – 1987 ص21.

[2]- **القشيري**، الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت261هـ – 875 م): **صحيح مسلم**، تحقيق عبدالله أحمد، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج4، ص578.

وارتدت بعض القبائل عن الإسلام وادّعى بعض الأشخاص النبوة مثل مسيلمة الكذاب وبنو أسد وغيرهم، لهذا كله دعت الحاجة إلى إعادة تنظيم الأمور الأمنية والتي كانت من اختصاصات الشرطة والأمن[1]، واستعمل الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعوان له لحفظ الأمن وحماية البلاد منهم: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن الزبير، وعبدالله بن مسعود في حراسة المدينة المنورة[2].

ويتضح مما سبق أن واجبات حفظ الأمن والاستقرار زمن الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقيت كما كانت عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كلف أبو بكر الصديق عبدالله بن مسعود نظام العسس كما كان يطلق عليه، كما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه العسس أيضاً[3].

وبعد وفاة أبو بكر الصديق تولى **الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13-23هـ/631-643م)** الذي كان قد تولى نظام العسس في عهد سابقه، وعندما تولى أمر المسلمين استمر يقوم بالعسس ليلاً، فيطوف في شوارع المدينة ليتأكد من استتباب الأمن في طرقاتها، وكما كان يتفقد الأسواق ليقف على صحة الموازين والمكاييل وجودة البضائع مباشراً بذلك وظيفة الحسبة والشرطة بنفسه في المدينة.

وأكثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الطواف مستعينا ببعض أصحابه أمثال عبد الرحمن بن عوف ومحمد بن مسلمة وغيرهم، فكان ينجد المصاب ويأخذ بيد المحتاج ويتتبع أهل الريب، ليكشف عن أوكارهم والضرب بشدة على أيديهم، وتطهير مجتمع المدينة منهم ، ليقيم العدل بين الناس، وبفضل يقظته وحكمته وحزمه وشدته في الحق

---

[1]- **الأصبيعي: الشرطة في النظم الإسلامية**، ص 62.

[2]- **الطبري**، أبي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ- 923م): **تاريخ الأمم والملوك** ، دار سويدان للطباعة والنشر، بيروت، 1967م، ج3، ص244.

[3]- **النقرش: نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص21. **حسن** ، حسين حاج : **النظم الإسلامية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1406 – 1987م، ص186.

هابه العظماء واطمأن إليه الناس ورهبه الأشرار، فأقلعوا عن شرهم، فهو أول من عسَّ في عمله بالمدينة وحمل الدرة وأدب بها، كما أسند إقامة الحدود في السيف والسوط لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ووجد السجن في أيام عمر بن الخطاب وكان مكاناً مستقلاً يحبس فيه المجرم، وهذه السجون كانت تحت إشراف الدولة، حيث اشترى عمر بن الخطاب دار السجن في مكة المكرمة من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم، ثم أسست سجون مماثلة في المراكز المهمة لكل ولاية من الولايات الإسلامية[1].

وبذلك يلاحظ أنَّ نظام الشرطة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه اكتسب عناية كبيرة من أجل تحقيق العدل وحفظ النظام وتوفير الأمن والاستقرار، كل ذلك كان له دوراً مهماً في إرساء قواعد الدولة الإسلامية والمحافظة على تماسكها وركائزها التي كان قد وضعها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وبعد وفاته رضي الله عنه استلم الخلافة من بعده **عثمان بن عفان رضي الله عنه (23-35هـ/643-655م)**، ففي عهده كانت الحالة قد تغيرت عما كانت عليه وبدأ الأمن يضطرب شيئاً فشيئاً، الأمر الذي دفع عثمان بن عفان رضي الله عنه لتقوية جهاز الشرطة والأمن، وزيادة العناية به في العاصمة الإسلامية.

وتتفق جميع المصادر التاريخية على أن عثمان بن عفان كان أول من اتخذ صاحب الشرطة الذي كان يمشي بين يديه، وكان يدعى عبدالله بن قنفد التميمي القرشي، إلا إنه كان لا يسار بين يديه بحربة ولا جماعة للشرط[2].

كل ذلك من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار حتى أصبح جهاز الشرطة في عهده قوياً، والدليل على ذلك عند وفاة العباس بن عبد المطلب سنة **32هـ/652م** تزاحم الناس

---

[1]- **النقرش: نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص24-25.

[2]- **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن عبدالله بن علي (ت821 هـ - 1283م) : **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، وزارة الإرشاد والانباء، الكويت، 1964م، ج3، ص341.

في المدينة للصلاة عليه، وكان قد خرج في جنازته كثير من الناس، فتعذر دفنه لكثرتهم وإحاطته بسريره، الأمر الذي دفع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى إرسال أعوان الشرطة لإفساح المجال لبني هاشم ليوسدوه في قبره [1].

أما الشرطة في عهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (36-40هـ/656-661م)، والتي تعد فترة حكمه من أصعب مراحل تاريخ الدولة الإسلامية، حيث تعرضت لأسوأ انقسام منذ قيام الخلافة الراشدة، وبقيت الأمة الإسلامية دون خليفة لمدة خمس أيام حتى تمت مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه [2].

فالتطور الجديد الذي طرأ على نظام الشرطة في عهده أنه شكل هيئة متخصصة أطلق عليها تسمية "**صاحب الشرطة**"، وأصبحت مؤسسة مستقلة أوكل إليها القيام بالدوريات الليلية والنهارية، لبسط الأمن والاستقرار في المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، ومتابعة أهل الريب والشبهات ومراقبة الأسواق للتفتيش على المكاييل وفضِّ المنازعات بين العامة إلى جانب هذه الأعمال قامت بحراسة الخليفة والولاة والعمال والمؤسسات الحكومية.

وفي عهده ظهر نوع جديد من الشرطة عرفت باسم "**شرطة الخميس**" وهم طائفة من الجيش النظامي تحضر الواقعة وتباشر الحرب، ولم يقتصر دور هذا النوع من الشرطة على الناحية الحربية فقط بل كانت ترافق الخليفة في حركاته في السوق وتتولى حراسته أيضا[3].

---

[1]- **النقرش: نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص27.

[2]- **الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، ج3 ، ص427.

[3]- **الأصبيعي: الشرطة في النظم الإسلامية**، ص64.

وكان أهم قادة الشرطة في عهده: معقل بن قيس الرباحي وكان من وجوه أهل الكوفة معروفاً بالحزم والعدل وحسن التصرف وكان من الشجعان الأجواد [1].

ومما سبق نلحظ تطور هذه المؤسسة في عصر الرسول والخلفاء الراشدين ونستطيع القول أن هذه المؤسسة كانت متواضعة في بداية نشوئها في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخليفة من بعده أبو بكر الصديق، وتطورت هذه المؤسسة شيئاً فشيئاً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان يقوم بنفسه في هذه المهمة، وصولاً إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان الذي فرض عليه الأمر الاهتمام بهذا الجهاز نظراً للضرورة الملحة التي فرضت عليه بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وخلال عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أعاد تنظيم هذه المؤسسة حتى أصبحت جهازاً مستقلاً في عهده والتي عرفت بهيئة الشرطة.

كل هذا الاهتمام بجهاز الشرطة سواءً أكان في عصر الرسول أو الخلفاء الراشدين كان من أجل نشر الأمن والاستقرار في كافة أرجاء الدولة الإسلامية.

2 – الشرطة في العصر الأموي :

عندما قامت دولة الخلافة الأموية وأضحى معاوية بن أبي سفيان خليفة الأمة الإسلامية، والتي دام حكمها إحدى وتسعين عاماً هجرياً/تسعاً وثمانين عاماً ميلادياً/ **(41–132هـ– 661– 750م)** تولى الخلافة خلالها أربعة عشر خليفة، أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان بن محمد الجعدي[2].

[1]– **الزركلي،** خير الدين بن محمود بن علي (ت 1396هـ–1976): **الأعلام،** د. م، بيروت ، الطبعة الثالثة، 1389هـ–1969م، ج2، ص332.

[2]– **طقوش،** محمد سهيل: **تاريخ الدولة الأموية،** دار النفائس، بيروت، 1431هـ–2010م، ص15.

حيث تطور نظام الشرطة تطوراً كبيراً في العصر الأموي ذاك التطور الذي مهدت له الظروف السياسية والاجتماعية الجديدة، والتي ظهرت بتولي معاوية بن أبي سفيان **(41-60هـ/661-680م)** الحكم عقب حرب دارت رحاها طيلة خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في سبيل الصراع على السلطة السياسية، وبذلك تحول نظام الحكم عن الخلافة إلى الملكية الوراثية في العصر الأموي.

وفي ظل هذه الظروف برزت أوضاع الشرطة، وأهميتها، والحاجة إليها في قمع الثورات والفتن والاضطرابات التي نشأت في كافة أرجاء الدولة والتي لا تستطيع الشرطة العادية بعددها وعدتها القضاء عليها[1].

ومن أجل ذلك تم استحداث قوة شرطية جديدة يمكن وصفها بأنها كانت نصف حربية ونصف شرطية حيث عُدت خطوة وسطى بين الشرطة العادية والجندية النظامية، وكان صاحب الأحداث يقوم بمهام الشرطة العادية في المحافظة على الأمن والنظام والنظر في شؤون الشرطة المختلفة إذا لزم الأمر للقضاء على الفتن ومناوشة الثائرين والمعارضين السياسيين.

كما ظهرت في العصر الأموي بعض النظم الشرطية المحكمة ومنها: نظام مراقبة المشبوهين ونظام البطاقات الشخصية وجوازات المرور، ففي عهد معاوية أعد سجل خاص لحصر المشبوهين من ذوي النشاط الاجرامي، حيث نظمت إجراءات مراقبتهم والحد من نشاطهم وألزموا في كثير من الأحيان في الإقامة في مكان معين بعاصمة الخلافة دمشق لا يغادرونها إلا بإذن مسبق، وكان هناك أيضا نظام البطاقات الشخصية حيث كلف الناس بحمل هذه البطاقات والتي تتضمن أسمائهم ومواطنهم الأصلية[2].

---

[1]- **الأصبيعي: الشرطة في النظم الإسلامية**، ص67. **الصلابي**، محمد علي: **الدولة الأموية عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار**، دار المعرفة، بيروت، 2008، ص228.

[2]- **الأصبيعي: الشرطة في النظم الإسلامية**، ص68.

وتبعاً للدور الجديد الملقى على عاتق الشرطة في العصر الأموي، فقد تعددت مهام مؤسسة الشرطة ومنها:

حماية الخلفاء والولاة، فكان الخليفة معاوية أول من استخدم الشرطة لحمايته الشخصية من الاغتيال أثناء صراعه مع الخوارج وغيرهم، فكانت الشرطة تحرس الخليفة في حلّه وترحاله حتى إنه عندما كان يصلي كان يقف فوق رأسه حارساً.

وازدادت أهمية مؤسسة الشرطة في العصر الأموي في عهد عبد الملك بن مروان **(65-86هـ/685-705م)** بتولي الحجاج بن يوسف الثقفي رئاسة الشرطة بعد قائدها روح بن زنباعة الجذومي، حيث ضمَّ إليه شرطة البصرة مع شرطة الكوفة لما تمتع به من كفاءة، وكان من قادة الشرطة في العصر الأموي أيضاً الحصين بن تميم التميمي وشدد الكثير من الخلفاء والولاة على الشروط الواجب توافرها في صاحب الشرطة في العصر الأموي منها، وأهمها:

الصدق والأمانة والصلابة والشدة، والدليل أن عمر بن هبيرة والي العراق في عهد خلافة هشام بن عبد الملك **(105-155هـ/724-743م)** قام بتعيين مسلم بن سعيد والياً على خراسان سنة **106هـ/725م**، ونصحه ألا يعين صاحب الشرطة إلا في من يثق بوجود قوة الأمانة به، وكان الخليفة في العصر الأموي مسؤول عن تولية صاحب الشرطة، أما في الأقاليم والولايات فكان الوالي أو الأمير هو الذي يولي صاحب الشرطة[1].

ويظهر أن صاحب الشرطة في العصر الأموي الذي كان يسير مع الخليفة كان يسير معه متقلداً كامل سلاحه، فيذكر اسماعيل النقرش نقلاً عن الأصفهاني "أن الخليفة هشام بن عبد الملك **(105-155هـ/724-743م)** ما كان يخرج بدون حراسة الشرطة"[2].

[1] – **النقرش : نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص43-45.

[2] – **النقرش : نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص43-45.

وكان صاحب الشرطة في هذا العصر هو المسؤول الأول عن سلامة الوالي، حيث كان يظهر في مقدمة موكب الخليفة أو الوالي في الأماكن العامة، وكان للشرطة دور كبير وهام في القيام بعملية البحث والتحري عن المتمردين والخارجين عن القانون، وكانوا على استعداد تام للاتصال بالأشخاص الذين يستطيعون تقديم أية معلومة حول المشبوهين.

ومن وظائف الشرطة في العصر الأموي: حفظ الأمن والنظام داخل المدن، ومن الأدلة على ذلك ما قام به زياد بن أبيه والي البصرة والتي كانت حين تولاها تعمُّ الفوضى والاضطراب فيها، حيث أمر زياد صاحب الشرطة بحراسة الطرقات وقتل كل من يوجد خارج منزله ليلاً حتى عاد الأمن والنظام إليها.

وكان للشرطة دور مهم في مساندة الجيش خارج نطاق المدن[1]، وأسند بني أمية إلى الشرطة بعض الأعمال العسكرية وأوجدوا ما يسمى الآن بالشرطة العسكرية[2].

3- الشرطة في العصر العباسي:

يلاحظ أنه نالت الشرطة مكانة كبيرة، وتطورت تطوراً ملحوظاً، وأصبحت تعد من الوظائف الأساسية في الدولة العباسية، واتسمت بالطابع العسكري، وأصبح جهاز الشرطة في هذا العصر أقرب للجيش، لذلك يلاحظ أنّ الكثير من الخلفاء في هذا العصر كلفوا أصحاب الشرط بقيادة الجيش أو قيادة الحملات العسكرية خارج حدود العاصمة إلى الولايات والأطراف، وذلك لحماية حدود الدولة من الخطر الخارجي.

لذلك تعددت المسؤوليات والواجبات الملقاة على عاتق الشرطة خلال العصر العباسي ومنها:

[1]- **النقرش: نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص41-42.

[2]- **حسن**، ابراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، 1914م، ج1، ص410.

- حماية الخلفاء وولاة الأمصار.
- معاقبة المذنبين والخارجين عن القانون.
- تطبيق حدود الشريعة، والنيابة عن الخلفاء والولاة في أداء مناسك الشريعة.
- مساعدة الجيش ضد اعداء الدولة.

وكما هو معروف إن أول من استخدم الشرطة لحمايته وحراسته في العصر الأموي هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان **(41-60هـ/661-680م)**، وخلال العصر العباسي استمر الأمر على هذا الحال فكانت عناصر الشرطة ترافق الخليفة في حلّه وترحاله، فالخليفة العباسي الهادي كانت أول من مشت الشرطة بين يديه بالسيوف والمسلة والعمد والقسي الموترة وذلك لحمايته وفرض هيبته وسلطانه [1].

ويمكن القول أنه كان هناك شرطتان في العصر العباسي:

- **الأولى شرطة العاصمة:** ومهمتها السهر على الأمن، وحماية الناس وأرواحهم وممتلكاتهم، وحراسة المنشآت والمرافق العامة كالدواوين والقصور التي تخص الخليفة وكبار رجال الدولة، وضبط أبواب مدينة بغداد عن طريق فرقة تابعة لمؤسسة الشرطة، وكان يرأس كل فرقة شخص من أعوان صاحب الشرطة[2]، وكان هذا المنصب يماثل درجة الأمير أو الوالي، ولا يشغله إلا المقربون من الخليفة نفسه، والذي كان يختار صاحبه من القواد العسكريين، وكان تولي هذا المنصب تمهيداً لتولي الوزارة أو الحجابة[3].

---

[1]- **النقرش: نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص101-102.

[2]- **الصابي**، أبي الحسن الهلال بن محسن : **تحفة الأمراء بتاريخ الوزراء**، تحقيق: عبد الستار فرج، دار إحياء الكتب العربية، د.م، 1958م، ص20.

[3]- **النقرش: نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص103.

وأصبح صاحب الشرطة في بغداد في منزلة تقرب من منزلة الخليفة، وكان بعضهم ينوب عنهم في بغداد [1].

ويقول ابن خلدون في هذا الصدد :" ونزهوا هذه المرتبة – الشرطة – وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم وكانت ولايتها للأكابر من رجالات الدولة ترشيحا للحجابة والوزارة "[2].

- **الثانية كانت موجودة في أقاليم الدولة الإسلامية** تتبع الولاة والعمال القائمين بحكم وإدارة تلك الأقاليم، وكان الوالي هو الذي يعين صاحب الشرطة، وكانوا ذو قوة وعصبية وحزم في الأمور، إضافة إلى الكفاءة العسكرية والحنكة الإدارية التي تؤهله للقيام بواجباتهم في منع الجرائم وإشاعة الأمن في أنحاء الولاية.

ويروى عن الخليفة أبو جعفر المنصور **(137-158هـ/754-775م)** قوله :

"أركان الملك أربعة: قاض لا تأخذه في الحق لومة لائم، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، وصاحب خراج لا يظلم الرعية، وصاحب بريد يكتب إلي بخبر هؤلاء على الصحة"[3].

وكان من الامثلة على ذلك: الوالي على مصر يحيى الخرس أبو صالح، وصاحب شرطته عسامه بن عمر، ففي عهدهما اشتد الفتك بقطاع الطرق وقطعت أيدي اللصوص حتى وصل الأمان والنظام خلال فترة حكمه إلى مستوى لم يشهد مثله، وحتى قيل إنه كانت الحوانيت تفتح الأبواب على مصرعيها ليلاً نهاراً، فإذا ذهب الرجل للصلاة

---

[1]- **القطان،** مناع: **الشرطة في الإسلام،** مجلة قوى الأمن الداخلي، الرياض، السعودية، العدد الأول، 1398هـ ، ص57-58.

[2]- **ابن خلدون: المقدمة،** ص17-18.

[3]- **الفحام،** ابراهيم: **الشرطة من الدولة الطولونية حتى نهاية الدولة الأيوبية،** د.م ،1961م ، ص34.

بالمسجد نهاراً أو بيته ليلاً يكتفي بوضع عصا على الباب لمنع دخول الكلاب إلى دكانه دون غلقها [1].

4- الشرطة في المغرب العربي الإسلامي والأندلس:

- **الشرطة في بلاد المغرب العربي الإسلامي:**

نشأت في المغرب العربي الإسلامي ولايات هامة تتبع الخلافة الإسلامية في بغداد ودمشق ومصر، وقامت في الفترات الأخيرة كثيراً من الممالك المستقلة التي انفردت بحكم المغرب كله كعهد الدولة الأغلبية **(184-296هـ/800-909م)**، والدولة العبيدية الفاطمية **(297-567هـ/909-1171م)**، ودولة الموحدين**(539هـ)**، والدولة الحفصية ودولة المرابطين**(448-540هـ/1056-1145م)** وغيرها من الدول.

وقد عرفت هذه الدول أهمية الأمن كأساس لقيام دولتها، فظهرت فيها أنظمة الأمن المختلفة ابتداءً من أنظمة العرافة والعسس إلى أنظمة الشرطة، وكان صاحب الشرطة في هذه الدول يعين من قبل الخليفة وانقسمت الشرطة إلى قسمين:

- وظيفة التهمة على الجرائم وإقامة الحدود ومباشرة القطع والقصاصات وتم تعيين لذلك حاكم يحكم فيها بموجب السياسية دون مراجعة الأحكام الشرعية ويسمى تارة الوالي وتارة باسم صاحب الشرطة.
- قسم التعازير وإقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعاً.

ويلاحظ أن نظام الشرطة في بلاد المغرب العربي الإسلامي كان قائماً وشبيهاً لنظام الشرطة في المشرق العربي، **ويذكر ابن خلدون ذلك:** "وأما في دولة الموحدين

[1]- **الفحام: الشرطة من الدولة الطولونية حتى نهاية الدولة الأيوبية**، ص35.

بالمغرب فكان لها خط من التنويه وإن لم يجعلوها عامة، وكان لا يليها إلا رجالات الموحدين كبراؤهم، ولم يكن له التحكم على أهل المراتب السلطانية".

ويقول أيضاً في موضع آخر: "كان النظر في الجرائم والحدود في الدولة العباسية والأموية بالأندلس والعبيدين بمصر والمغرب راجعاً إلى صاحب الشرطة وهي وظيفة أخرى رفيعة كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول وتوسع النظر فيها من أحكام القضاء قليلاً فيجعل للتهمة مجالاً بفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم وتقيم الحدود الثابتة في مجالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزيز والتأديب في مقالم ينته عن الجريمة"، وفسد في عهد بن ابن خلدون منصبها وخرجت على رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام من المضطهدين، وكانوا يتخيرونهم لما يظهر منهم من الصلابة والمضاء في الأحكام لقطع مواد الفساد، وحسم أبواب الدعارة، وتخريب مواطن الفسوق وتفريق مجامعه مع إقامة الحدود الشرعية والسياسية، كما تقتضي رعاية المصالح العامة المدنية.

ففي **عهد الدولة الحفصية** خاصة أيام أبو زكريا الأول وابنه المستنصر تم إخضاع الثائرين، وتم حفظ الأمن فعاش الناس في رفاهية، وقد اعتمدت هذه الدولة على الموظفين للقيام بواجبات الحراسة الليلية داخل المدينة وخارجها، أما مهمة حراسة سواحل البلاد فقد خصص حراس يبلغ عددهم عشرة آلاف، وفي **عهد الدولة الرستمية (144-296هـ/761-908م)** كان من ضمن كبار رجال الشرطة الذين كانوا يطوقون دروب المدنية لحفظ الأمن وتغيير المنكر، وعندما انتشرت الفتن وكثر الفجار وشربة الخمور أصيبت الدولة بضعف حتى كانت إمارة أبي حاطم الذي تولى قيادة الشرطة بنفسه، فكسرت خوابي الخمور وشردت الغلمان وأخذهم إلى الجبال، وقد وصفت أيام **دولة المرابطين** خاصة في عهد مؤسسها يوسف بن تاشفين بالعدل والإيمان والاستقرار والرخاء وكذلك الأمر في **عهد دولة الأدارسة (172-363هـ/788-975م)**[1].

- **الشرطة في بلاد الأندلس:**

[1]- **الأصبيعي: الشرطة في النظم الإسلامي**، ص79 وما بعدها.

لقد كانت خطة الشرطة في بلاد الأندلس كانت عظيمة القدر عند السلطان، إذ كان صاحبها مرشحا للوزارة والجباية، وكان له في بعض الأحيان الحق بالإعدام كل من وجب عليه دون استئذان السلطان، وهو الذي يحد من الزنا وشرب الخمر، وكان يعرف بصاحب المدينة أو الحاكم أو الوالي.

وكانت الشرطة تقسم إلى قسمين:

شرطة **كبرى** وشرطة **صغرى**، حيث أُنيط لصاحب الشرطة الكبرى النظر في أمر الخاصة والدهماء على السواء، وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيديهم في الظلامات، وعلى أيدي أقاربهم من والاهم من أهل الجاه، في حين جعل لصاحب الشرطة الصغرى الاهتمام بأمر العامة دون غيرهم[1].

وكانت إدارة الأعمال العامة في بلاد الأندلس أكثر الأعمال تطوراً وكانت قوانينها المبنية على العقل في نظام شرطي منتظما تنظيماً كاملاً، حتى قيل: "أن بلاد الأندلس لم تعرف أبداً هذا اللون من الهدوء والعدل والحكمة مثلما عرفته في ظل الفاتحين، وكانت خطة الشرطة في الليل مسؤولة عن حراسة المدينة ليلاً عن طريق رجال الذي يطلق عليهم تسمية الداربين حيث يوزعون على كافة الأحياء التي كانت بدورها مقسمة إلى شوارع وأزقة تعرف باسم الدروب، والتي ينسب إليها الحراس الليليون"[2].

4- الشرطة في عهد الدولة الفاطمية والمملوكية.

- **الشرطة في عهد الخلافة الفاطمية (297-567هـ/909-1171م):**

---

[1]- **المقري**، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1031هـ-1631م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م ، ص218 و ما بعدها. **حسن**، علي حسن : **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس**، كلية العلوم للطباعة والنشر، القاهرة، 1980م، ص 123.

[2]- **المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ص219.

تعد الشرطة عنصراً أساسياً من مكونات الإدارة الفاطمية وله أهميته الخاصة، حيث حرص جوهر الصقلي على دعم جهاز الشرطة وإخضاعه لإشرافه المباشر منذ بلوغه القاهرة ومصر واستيلاءه عليها لتكون عاصمة الخلافة الفاطمية.

حيث كانت الشرطة في العصر الفاطمي في القاهرة شرطتين:

- **الأولى :** الشرطة العليا ومقرها القاهرة.
- **الثانية:** الشرطة السفلى ومقرها الفسطاط.

وقد سميت الشرطة العليا بذلك لعلو مكانها عن مكان الشرطة السفلى الذي كان بمدينة العسكر ثم نقل فيما بعد إلى القاهرة[1].

وكان يتولى الخليفة أو الوزير أمر تولية صاحب الشرطتين العليا والسفلى وتستند رئاسة كل منهما إلى شخص ما، وقد تسند الوظيفتان إلى شخص واحد بل وقد يضاف إليهما ولاية السجن على حسب الأصول وتبعاً لما يتمتع به أصحاب الشرطة من خطوة ومكانة لدى الخليفة أو الوزير المختص[2].

وكان يناط إلى الشرطة تنفيذ أحكام القضاة والأوامر التي يصدرها الخليفة أو السلطان أو الوالي كما تتولى التحقيق في الجرائم والقبض على الخصوم، وإحضارهم بالقوة عند الحاجة إضافة إلى حراسة الأماكن العامة، والقيام بأعمال الدوريات الليلية والنهارية و إجراء التحريات عن المجرمين والمشتبه فيهم لرصد تحركاتهم، والاشراف على شؤون السجون وكان صاحب الشرطة يعرف تارة بصاحب الشرطة وتارة بالوالي وصاحب العسس أو المدينة، وكان صاحب الشرطة يخرج كل ليلة على رأس مئات من رجاله فيطوف في المدينة متفقد الأمن ابتداءً من قصر الخلافة وبيوت كبار رجال الدولة و

[1] – **حسن: النظم الإسلامية**، ص234.

[2] – **الفحام: الشرطة من الدولة الطولونية حتى نهاية الدولة الأيوبية**، ص52.

الدواوين والسجون حتى يصل إلى أبواب المدينة ليتأكد من إغلاقها وعدم خروج أحد إلا بإذن خاص[1].

وألزم صاحب الشرطة في العصر الفاطمي حراسة الخليفة وتأمين مقر إقامته وتنظيم مواكبه وملازمته عند خروجه، ودعمت الشرطة في العصر الفاطمي بوجود الشرط السرية والتي استخدمت في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي **(660-701هـ/1262-1302م)** الذي بثَّ العديد من المرشدين والجواسيس في شتى المجتمعات ليعرف ما يدور فيها من خاصة الأمور المتعلقة بأمن البلاد، وكان عن طريق هؤلاء يتمكن من معرفة السراقة واللصوص وقطاع الطرق والقصاص منهم [2].

كما خصص في هذا العهد في كل قسم من أقسام الشرطة رجال مهمتهم إطفاء الحرائق التي تحصل في نطاق عملهم، وتكليف التجار وأصحاب الحوانيت لوضع خزانات مليئة بالمياه لتسهيل عملية الحراسة الليلة وإطفاء الحرائق في أسرع وقت[3].

- **أما الشرطة في عهد المماليك:**

كانت الشرطة في العصر المملوكي كما العصر الفاطمي تقسم إلى شرطة عليا و شرطة سفلى، ولكن التطور الجديد الذي طرأ على نظام الشرطة في العصر المملوكي أن زيد عليها شرطة أخرى بحي القرافة، وذلك على أساس تقسيم العمل وتحديد نطاق عمل كل شرطة على أساس إقليمي[4].

---

[1]- **ابن الصيرفي،** أمين أبي قاسم علي بن منجب: **الإشارة إلى من ناب الوزارة،** تحقيق: عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ، 1933م، ص31-50.

[2]- **شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي،** ص72. **المزيني** ، نادر بن حمد بن ناصر: **شرطة العدالة في ولاية الحسبة القضاء المظالم،** د. م، الرياض، 1414هـ - 1994م، ص45.

[3]- **الفحام: الشرطة من الدولة الطولونية حتى نهاية الدولة الأيوبية،** ص52.

[4]- **ماجد، عبد المنعم: دولة سلاطين المماليك و رسومهم في مصر،** مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص132.

وكان يطلق على صاحب الشرطة أيضا لقب الوالي أو متولي الحرب، ويتولى رئاسة كل قسم من أقسام الشرطة السابقة والي مختص مستقل في أدائه لواجباته عن بقية الولاة ويضاف إلى هؤلاء النواب و الوكلاء أعداد وفيرة من الأعوان والخفراء والسجانين والمشاعلية، وكانوا يكلفون بمهمات شرطية تتعلق بأعمال الشرطة، وكان والي الشرطة يختار من كبار رجال الدولة من المماليك ممن عرفوا بالصلابة والقوة والحزم، وكان كل والي يختار بنفسه أعوان من رجال الشرطة معتمداً على أتباعه ورجاله المخلصين وكان من واجبات الشرطة في هذا العصر المحافظة على النظام والأمن العام، وتتبع اللصوص والضرب على أيدي المجرمين والمفسدين ومراقبة الخمارين، وغيرهم ممن يسيئون التصرف[1].

وكانت من أهم واجبات والي القلعة في العصر المملوكي الإشراف على حراسة المدينة وأسوارها ومدخلها، حيث كان يتم غلق باب القلعة من غروب الشمس إلى شروقها ولم تكن واجبات الشرط فقط هذه في العصر المملوكي حيث كانت تناط إلى رجال الشرطة أعمال أخرى ولا سيما في المجال العمراني كالمشاركة في إقامة القناطر وتشييد العمائر وترميمها وجمع الضرائب والرسوم[2].

وأكبر دليل على ذلك أنه قد بلغ من استتباب الأمن وتأمين الطرق في عهد الظاهر ركن الدين بيبرس أن استطاعت المرأة أن تسافر وحدها في أرجاء البلاد دون أن تخشى أي اعتداء من أحد[3].

إلا أن أغلب الخلافات الدامية التي كانت تنشب بين الممالك هو انصراف أغلب السلاطين إلى رعاية المصالح الخاصة بهم هذا ما أدى إلى تدهور حالة الأمن ومجاهرة اللصوص بالاعتداء على الناس حيث كان يهجم اللصوص على أسواق التجار ورموا بالنشب مجاورة جهاراً مع وجود الحرس بالمدينة واتيانهم إليهم مع والي المدينة وفتحوا

---

[1]– **الفحام: الشرطة من الدولة الطولونية حتى نهاية الدولة الأيوبية**، ص 45 .

[2]– **الفحام: الشرطة من الدولة الطولونية حتى نهاية الدولة الأيوبية**، ص41–43 .

[3]– **الفحام: الشرطة من الدولة الطولونية حتى نهاية الدولة الأيوبية**، ص45 .

إحدى عشر دكاناً و أخذوا أطايب القماش وما قدروا عليه من النقد، وقتل من الحرس جماعة[1].

ومن المناصب المهمة التي ظهرت في عصر المماليك وظيفة الولاية وهي تقابل الشرطة، ويقوم صاحبها بحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين.

وكان يقوم بأعمال هذه الوظيفة ثلاثة أمراء:

يتولى الأول: المحافظة على الأمن في القاهرة، وفضّ المشاكل التي تحدث بين سكانها.

يتولى الثاني: أداء هذا العمل في الفسطاط.

أما الثالث فيتولى: شرطة القرافة، ولعله كان يحفظ النظام أثناء مرور الجنازات ويراعي الآداب العامة في زيارة القبور وخاصة أيام المواسم والأعياد وحراستها خشية من اللصوص والعبث بها.

وكان صاحب العسس في القاهرة يتولى الإشراف على مطافئ الحريق فيجلس بعد صلاة العشاء بمحطة المطافئ، وكان يوضع أمامه مشعل تشتعل فيه النار طوال النهار ومعه والسقاؤون والنجارون وغيرهم من عمال الإطفاء لإطفاء الحريق قد يحدث[2].

5- رجل الشرطة:

1- شروط صاحب الشرطة:

هناك مجموعة من الشروط والتي يجب أن تتوافر للشخص الذي يتولى هذه الوظيفة، هذه الشروط يمكن تلخيصها:

- **الإسلام:** حيث ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الولاة في الدولة الإسلامية يجب أن يكونوا مسلمين، فلا يصح أن يقلّد الكافر ولاية العامة، كإمارة أو الوزارة أو القضاء

[1]- **الفحام: الشرطة من الدولة الطولونية حتى نهاية الدولة الأيوبية**، ص48 .

[2]- **حسن**، إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن: **النظم الإسلامية**، ص 218-219 .

أو الشرطة وغيرها لأسباب منها: أن الولاية تعني المحبة والنصرة؛ فالكفار أعداء لنا بتصريح من قوله تعالى ((إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً))، كما إن للولاية سلطة ولا يجوز للإمام أن يعين والياً من الكفار يتمكن من أمور المسلمين ويتسلط عليه لأن الله سبحانه وتعالى حرم ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم حرّم ذلك أيضاً بقوله ((الإسلام يعلو ولا يعلى عليه)).

– **الذكورة:** فولاية الشرطة هي إحدى الولايات العامة التي لا يجوز تقليد النساء فيها لأدلة منها:

- أن حق القوامة ثابت للرجل على المرأة، ويتبين ذلك من قوله تعالى: ((الرجال قوامون على النساء بما فضل الله)).
- ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن تقلد النساء الولاية العامة بمقتضى قوله: ((لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة)).
- **العقل:** لا خلاف بين الفقهاء من أن العقل شرط لصحة تولي الوظائف العامة فالمجنون مرفوع عنه القلم، كما جاء في الحديث الشريف: ((رفع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق)).
- **البلوغ:** لأن هذه الوظائف تنطوي على تكليف، والصغير ليس أهلاً لتحمل التكاليف كما أن الصغير غير تام العقل، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعوذ من إمارة الصبيان في قوله: ((تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن إمارة الصبيان))
- **الحرية:** واشتراط الحرية شرط لمن تولى ولاية العامة، لأن الولاية تؤدي إلى قيام حق للمتولي على الآخرين، والعبد الذي لا يلي أمر ثقة لا يصلح أن يلي أمر غيره.
- **العلم:** وعلى رجل الشرطة أن يكون عالماً بأحكام الشريعة الإسلامية للقيام بمهمته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا لم يكن كذلك فلا يؤمن أن يقوده جهله إلى

الفساد بدل الإصلاح، إلى جانب ذلك يجب على والي الشرطة أو صاحبها أن يكون عادلاً أيضاً[1].

2- مسؤوليات صاحب الشرطة والمهام الموكلة إليه:

يمكن تلخيص مسؤوليات صاحب الشرطة على النحو التالي:

- **حفظ الأمن والنظام:** وذلك لمنع الفوضى والتجمعات في الطرق والأسواق والساحات العامة بشكل يخل بالنظام والأمن، ومراقبة الأشرار والدعارة واللصوص والمنحرفين من متشردين والمشتبه بهم، ومنع وقوع الجريمة وتوفير الهدوء والطمأنينة والاستقرار لينصرف الناس إلى معايشهم ومباشرة نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي والحياتي.
- **حراسة الخليفة والسير في مواكبه:** وذلك عن طريق منع أي شخص من الدخول على الخليفة دون إذن مسبق، ومنع حصول أي اعتداء على الخليفة، والقيام بين يدي الخليفة، وتنفيذ أوامره من تعزيز وتكريم وحراسة القصر بكافة مرافقه وحراسة أسرة الخليفة، وكافة الدواوين الملحقة بدار الخليفة، ووضع خطة لقيام الحرس بواجباتهم وتوزيع العمل فيما بينهم، وقد نها الولاة في أمصارهم منحى الخليفة حيث كانوا ينزلون في المعسكر تحيط بهم الجند، فقد كان زياد بن أبيه يقيم في الكوفة ستة أشهر وفي البلدة مثلها، ويسير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ خمسمائة من الحرس لا يفارقون مكانه.
- **حراسة الدواوين:** عن طريق حراسة الدواوين حراسة وتأمين الدواوين والإدارة وكافة مؤسسات الدولة الأخرى سواء أكانت في عاصمة الخلافة أو في غيرها من الولايات حيث كانت شرطة العاصمة تتولى مهمة حراسة الدواوين المركزية كديوان الخراج

[1]- **الحميداني: ولاية الشرطة في الإسلام**، ص231 وما بعدها.

والرسائل وديوان الشرطة والبريد وغيرها من المرافق الأخرى كالمساجد وبيوت العلم ومخازن التموين والسجون والأسواق والساحات ومداخل المدينة ومخارجها وأسوارها.

- **تنفيذ أوامر السلطة التنفيذية والقضائية:** فهو الأداة الضامنة لتنفيذ القوانين ولوائح القرارات والتعليمات والأوامر الصادرة من الخليفة أو الوالي.
- **إدارة السجون:** من حيث الاهتمام بتوفير المأكل والمشرب ومحل الإقامة المناسب توفير العناية الطبية للمساجين وحسن اختيار القائمين على السجن من الأمناء والجلاوزة ورجال الشرطة ممن عرفوا بالتقوى والإصلاح.
- **إخماد الفتن والثورات الداخلية:** وتحقيق في الجرائم والتحري عن المجرمين وإصدار البطاقات الشخصية وجوازات السفر كما حدث في عهد مؤسس الدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان.
- **القيام بأعمال المباحث السرية:** وذلك لمراقبة أعداء الدولة السياسيين والثوار الخارجين عن سلطان الدولة وذلك ما قام به الحلفاء في الدولة الأموية والعباسية والفاطمية والطولونية وما تلاها من الممالك والدويلات التي قامت على أنقاض دولة الإسلام الكبرى وذلك لمعرفة أحوال الوزراء والولاة والقضاة وكافة عمال الدولة ذوي المناصب العليا وخاصة إن دولة الإسلام كانت مترامية الأطراف متعددة الأقاليم فكان الخليفة يعتمد على صاحب الخبر وأعوانه من الشرطة المنتشرين في كافة الأصقاع والذين يتولون نقل البريد من دار الخلافة إلى جميع الأمصار لكونهم عيوناً تراقب الأمراء والولاة وقواد الأجناد، وبناء على ذلك كثرت الجاسوسية في قصور الخلفاء ودواوين الوزراء والكتاب.
- **مراقبة المشبوهين والمنحرفين** وذلك عن طريق مراقبتهم ومحاولة إلقاء القبض عليهم من الخروج من المدينة أو الولاية الموجودين بها دون إذن مسبق
- **حراسة النقود وتأمين الحدود:** حيث أولت الشرطة أهمية كبيرة لتأمين النقود والحدود البرية والبحرية، وتوطيد الأمن في أطراف البلاد والتحقق من شخصيات المسافرين

ومقاصدهم وتفتيش المسافرين لضبط الأشياء المحرمة شرعاً وتقديم يد العون والمساعدة إلى التجار والمسافرين خاصة في المناطق النائية والصحراوية[1].

3- الأسلحة التي كانت تستخدمها الشرطة:

نظراً لأهمية هذه المؤسسة في الدولة الإسلامية في حفظ الأمن والنظام، فأفرادها هم حماة السلطان، وأعوانه والمدافعون عن النظام السياسي ضد كل من يخرج عنه، وبناءً على ذلك فلابد لهذه المؤسسة أن تمتلك القوة العسكرية، وأن تكون مجهزة بكافة الأسلحة والأدوات التي تساعدها على تنفيذ مهمتها، فكانت الأسلحة المستخدمة كثيرة ومتنوعة، سواء أكانت أسلحته فردية أو جماعية، وعلى ما يبدو إن هذه الأسلحة كانت تخزن في مكان يسمى بيت السلاح في دار الشرطة، ففي العصر الراشدي كان يتسلح أفراد الشرطة بالدرة ويعززون بها، أما العصر الأموي كان سلاح الشرطة السيف والحراب والعمد والهراوات والسياط، أما في العصر العباسي فقد استمر استخدام الدرة كسلاح فردي لرجال الشرطة وأعوانهم التي يضربون بها كل من يخرج على السلطان أو يقوم بعمل مخالف الأوامر والنظام الداخلي للدولة.

ومن الأسلحة الفردية المستخدمة أيضاً الحراب والنشاب والرماح والمطارد والأترسة وغالباً ما تكون هذه الأدوات في مجلس الشرطة، وكانوا يحتاجون للأدوات التي تساعدهم في تنفيذ مهمتهم منها الكتاف والأصفاد والقيود والسلاسل والكلاليب.

ومن الأسلحة الجماعية التي كانت تستخدمها رجال الشرطة المجانيق والعرادات والنقاطات وغالباً هذه الأسلحة كانت تستخدم في القضاء على الفتن والثورات الداخلية

[1]- **الأصبيعي: الشرطة في النظم الإسلامية**، ص138 وما بعدها.

والدليل على ذلك إنه تم استخدامها في الصراع الذي نشب بين الأمين والمأمون في السلطة في العصر العباسي، وبين الخليفة المعتز بالله والخليفة المستعين بالله[1].

أما المواصلات: التي كانت تستخدمها الشرطة الخيل والإبل وكانت في معظم الأحيان من الراجلة أي المشاة، كما استخدمت مؤسسة الشرطة السفن والزوارق كوسيلة من وسائل الحرب والقتل، والتي استخدمت في إخماد الفتن وأد الحرب الخارجية على السلطان أو في نقل الجنود والأمتعة من سلام أو طعام، وكذلك في حمل الأسرى والغنائم من وإلى مركز الشرطة[2].

والدليل على ذلك أن الخليفة المستعين بالله العباسي عندما حوصر في بغداد من قبل عسكر المعتز بالله في الجانب الغربي من بغداد حيث ساروا إلى قطر بل وضربوا عسكرهم هناك؛ فوجه إليهم محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب الشرطة فانهزم اصحاب المعتز، واستولى ابن طاهر على الأموال، واستخدم محمد بن عبد الله العرادات في السفن في هذه الحرب، وذُكِر أن أبا أحمد بن المتوكل وجه خمس سفن مملوءة طعاماً ودقيقاً لابن طاهر[3].

4- مرتبات صاحب الشرطة ولباسه:

تعدُّ مؤسسة الشرطة في العصر الإسلامي مثلها مثل بقية مؤسسات الدولة الأخرى، فمن خلال المصادر التاريخية ثبت أن العاملين في مؤسسة الشرطة كانوا يتقاضون مخصصات مالية وشهرية، وأخرى على شكل أعطيات وهبات، وبطبيعة الحال تفاوتت

---

[1]- **النقرش: نشأة تطور الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص201-203.

[2]- **النقرش: نشأة تطور الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص205.

[3]- **ابن الأثير**، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت630هـ/1233): **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1965م، ص145-157.

المخصصات المالية بين فرد وآخر داخل مؤسسة الشرطة، وذلك تبعاً لطبيعة المنصب أو الوظيفة التي يقوم بها الفرد[1].

وذكر الطبري بخصوص ذلك قائلاً: " وكل الحرس بحراسة قبر الخليفة المأمون بعد دفنه بطرطوس سنة 288هـ/833م. إذ وكل بحراسة قبر مائة رجل. وأجري على كل رجل منهم تسعون درهماً [2].

وذكر ابن الجوزي أن مرتب صاحب الحرس بلغ في عد الخليفة العباسي هارون الرشيد ألف ألف درهم في السنة، حيث بلغ مرتب مساعد صاحب الحرس خمسمائة ألف درهم في السنة أيضاً.

أما لباس صاحب الشرطة :

فقد كان للعرب لباس خاص بهم، ولبس الرسول صلى الله عليه وسلم مما لبس الإزار والشملة والكساء والجبة واستمر هذا اللباس في العصر الراشدي، فالخليفة عمر بن الخطاب أمر رجاله بلبس الإزار والرداء والنعل لتقي أرجلهم الحر والبرد ونهاهم عن لبس لباس العجم، وخلال العصر الأموي حافظ خلفاء بني أمية على الطابع العربي في اللباس وإن طوروه بعض الشيء.

وخلال العصر العباسي فكان له لباساً خاصاً يجعله في غاية النشاط والحركة ليباشر المهام الموكلة إليه، وكان صاحب الشرطة وأعوانه يعتبرون من الطبقة الراقية في المجتمع العباسي وكان اللباس العادي للطبقة الراقية في العصر العباسي يتكون من

[1] – **النقرش: نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص207.

[2] – **الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، ج8، ص65.

سروال فضفاض وقميص ودرعة وسترة وقفطان وقباء وقلنسوة وعباءة أو جبة، في حين كان لباس العامة ومنها أعوان الشرطة يتألف من قميص ودراعة وسترة طويلة وحزام[1].

6- الصلات التي تربط النظم الإسلامية مع بعضها البعض.

1- العلاقة بين الشرطة والقضاء:

كانت الشرطة في عهد الخلفاء الراشدين **(11هـ-40م/632- 661م)** وخلفاء بني أمية **(41-132/661-750م)** تعد ديواناً من دواوين الدولة الهامة وولاية من الولايات الدينية المعقودة لأرباب السيوف في الدولة، وكانت وظيفتها تنحصر في بداية الأمر في تنفيذ الأحكام الشرعية وتحقيق أقوال المتخاصمين واستجلاء إفادات المجرمين قبل إحالتهم للقضاء، فالشرطة كانت تابعة للقضاء في أول أمرها تقوم على الأحكام القضائية ويتولى صاحبها إقامة الحدود ويقول ابن خلدون في ذلك: ((كان أصل وصفها- أي الشرطة – في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدلها أولاً ثم الحدود بعد استيفائها – وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها بإقرار يكرهه الحاكم إذا احتفت به القرائن، لما توجبه المصلحة العامة، فكان الذين يقوم بهذا الاستبداد الحدود بعد أن تنزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة)).

ومنذ قيام الدولة العباسية **(132-447هـ/749-1055م)** جرت أحداث سياسية واجتماعية جعلت نظام الشرطة يتولى القيام بأدوار جديدة جعلته يتجه نحو الانفصال عن القضاء فيقول ابن خلدون: ((وكان النظر في الجرائم وإقامة الحدود في الدولة العباسية والأموية بالأندلس والعبيدين في مصر والمغرب راجعاً إلى صاحب الشرطة، وقد كانت هذه الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النظر عن أحكام القضاء قليلاً، فكان صاحب الشرطة يجعل للتهمة في الحكم مجالاً، ويقرر العقوبات الجائرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة في مجالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزيز والتأديب)).

[1]- **النقرش: نشأة تطور الشرطة في الدولة الإسلامية**، ص220-222.

فالشرطة تقوم منذ العهد العباسي بمجموعتين من الأعمال الأولى الاختصاصات الإدارية والثانية الاختصاصات القضائية وتنحصر في النظر في الجرائم و إقامة الحدود[1].

2- العلاقة بين الشرطة والحسبة:

مع تطور وظيفة الشرطة منذ بداياتها في النظام الإسلامي تغيرت الأسماء أيضاً التي عرفت بها مثل العسس والشرطة والولاية وسمي القانون بها أيضاً بأسماء مختلفة منها الجلوان وصاحب الشرطة والوالي ومتولي المدينة.

وسبق أن تعرفنا على واجبات ومسؤوليات صاحب الشرطة والحسبة والشروط التي يجب أن تتوافر لمتولي هذه الوظيفة.

هذه الشروط تشابهت بين اختيار المحتسب وصاحب الشرطة من حيث العدالة و الأمانة والهيبة أو من حيث اهتمام الوظيفتين بقمع الفساد وأهله ونشر الفضائل في المجتمع وإقرار العدل بين الناس مما هو أمر بالمعروف أو النهي عن المنكر أو من حيث اتخاذ الأعوان في جميع أنحاء البلاد، ففي كثير من الأحيان كان المحتسب يستعين بوالي الشرطة كما يستعين بوالي المظالم لشد أزره فيما عجز به عن مهمته.

وأيضاً يوجد هناك أوجه اختلاف بارزة بين الولايتين أو الوظيفتين فكما يقول ابن خلدون في مقدمته: ((كانت الشرطة في بداية أمرها وظيفة دينية ذلك أن موضوعها هو تنفيذ العقوبات الشرعية، ثم صدر أمر عن القاضي يمنع الشرطة من التكلم في الأحكام الشرعية، على حين المحتسب على عكس ذلك فقد كان يبحث عن المنكرات التي تتصل بالدين و يعمل على استئصالها وفقا لأحكام الشريعة))[2].

---

[1]- **الاصبيعي: الشرطة في النظم الاسلامية**، ص336-338.

[2]- **الماوردي**، أبو الحسن بن محمد حبيب الماوردي البصري البغدادي(ت 450 هـ - 1058م): **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار قتيبة،

وكان لصاحب الشرطة الحق في أن يجري التحريات عن الجرائم التي تبلغ له، أو عن مشتبه في أمرهم تحريات علنية و سرية وليس هذا للمحتسب الذي كان يبحث عن المنكرات الظاهرة ويأمر بإزالتها [1]، ويحق لصاحب الشرطة أن يأمر بسجن الشخص المشتبه في أمره ليجري التحريات عنه على ذمة التحقيق ويمكن أن يعذبه ليجبره على الاعتراف و ليس للمحتسب أو القاضي ذلك.

ولا يحق لصاحب الحسبة أن يتجسس على الناس للوصول إلى المنكرات، بل كان عليه أن يمنع انتهاك حرمات البيوت لكشف مالم يظهر من المحرمات [2].

فمن خلال ذلك نستطيع القول أن هاتين الوظيفتين والولايتين متشابهتين إلى حد كبير في المهام الموكلة إليها، ونتيجة لهذا التشابه كان الخليفة يتقلدها فكان محتسباً وشرطياً في آن واحد.

الخاتمة :

من خلال الدراسة للنظم الإسلامية، وتطورها عبر العصور في الحضارة العربية الإسلامية يلاحظ ما يلي:

- كانت الشرطة من أهم الأنظمة التي اعتمدت عليها الدولة الإسلامية في المحافظة على الأمن والاستقرار، هذا الأمر ساعدها على النمو والتطور والازدهار الحضاري.
- إن البدايات الأولى لظهور نظام الشرطة في الدولة الإسلامية كان في عصر الرسول والخلفاء الراشدين حيث كانت على نطاق ضيق وذات صلاحيات محدودة، ثم تطورت

الكويت، 1409 هـ – 1989 م، ص315 .**عبد الخالق،** فريد: **الحسبة في الاسلام على ذو الجاه والسلطان،** ص131–132.

[1]– **عبد الخالق : نشأة تطور الشرطة في الدولة الإسلامية،** ص134

[2]– **الشيرازي،** عبد الرحمن بن عبدالله بن نصر (ت590هـ–1190م)**: نهاية الرتبة في طلب الحسبة،** تحقيق: محمد حسن اسماعيل وأحمد فريد المزيدي، نسخة دار الكتاب المصرية، القاهرة، د–ت، ص244.

هذه النظم في العصرين الأموي والعباسي وأصبح لكل منها موظف مختص يتخذ أعوان له يساعدونه للقيام بالمهام الموكلة إليه.

- اهتمام الخلفاء والولاة والوزراء بهذه الوظيفة بأنفسهم بل نجد إن الخلفاء والولاة في بعض الأحيان مارسوا مهام هذه الوظائف بأنفسهم وفي الأحيان الأخرى أوكلوها إلى غيرهم ممن يثقون بهم.
- ساعد تطبيق هذا النظام في العصر الإسلامي على إرساء الأمن والاستقرار والطمأنينة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وجعلت الدولة محافظة على تماسكها وكيانها الداخلي.
- تتفق النظم الإسلامية (الشرطة ، الحسبة، القضاء) بمهامها وواجباتها وأهدافها في بعض الجوانب، وتختلف في الجوانب الأخرى.
- تتشابه الشرطة في العصر الإسلامي مع مهام الشرطة وواجباتها في حفظ الأمن والاستقرار ومنع حدوث الجريمة مع عصرنا الحالي، أما الحسبة والمظالم فلم تعد موجودة في أيامنا هذه.

- **المصادر :**
- **القرآن الكريم.**

1. **ابن الأثير،** عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت 630هـ/1233): **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1965م.
2. **ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(808هـ- 1406م): **مقدمة ابن خلدون** ، دار القلم للطباعة و النشر ، بيروت 1984.
3. **الزركلي**، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس (1396هـ/1976م): **الأعلام**، بيروت، الطبعة الثالثة، ج2، 1389هـ-1969م.
4. **سهل**، عيسى : **الأحكام الكبرى**، تحقيق يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007م.

5. **الشيرازي**، عبد الرحمن بن عبدالله بن نصر (ت590هـ-1190م): **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق: محمد حسن اسماعيل وأحمد فريد المزيدي، نسخة دار الكتاب المصرية، القاهرة، د-ت.
6. **الصابي**، أبي الحسن الهلال بن محسن: **تحفة الأمراء بتاريخ الوزراء**، تحقيق عبد الستار فرج، دار إحياء الكتب العربية، د.م، 1958م.
7. **ابن الصيرفي**، أمين أبي قاسم علي بن منجب: **الإشارة إلى من ناب الوزارة**، تحقيق: عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1933 م.
8. **الطبري**، محمد بن جرير (ت310هـ-923م): **جامع البيان في تفسير القرآن**، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة،ج26، 1905م.
9. ـــــــ: **تاريخ الأمم والملوك**، دار سويدان للطباعة والنشر، بيروت، ج3، 1967م.
10. **الغزالي**، أبي الحامد محمد بن محمد (ت505هـ - 1111م): **إحياء علوم الدين**، المجلد الثاني، دار الفكر، بيروت، 1409هـ-1989م.
11. **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن عبدالله بن علي (821هـ/ 1283م): **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، وزارة الإرشاد والانباء، الكويت، ج3، 1964م.
12. **الماوردي**، أبو الحسن بن محمد حبيب الماوردي البصري البغدادي(ت450 هـ-1058م): **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار قتيبة، الكويت، 1409هـ- 1989م.
13. **المقري**، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1041هـ - 1631م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1968م.
14. **ابن منظور**، جمال الدين محمد بن مكرم (711 هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ج1، 1968م.
15. **القشيري**، الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم(261هـ - 875م): **صحيح مسلم**، تحقيق: عبدالله أحمد، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ج4، د.ت.

16. **ابن هشام**، أبو محمد بن عبد الحميد (ت213هـ – 828م): **السيرة النبوية**، تعليق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة الحجازي، ج2، القاهرة.

- **المراجع :**

1. **الأصبيعي**، محمد ابراهيم: **الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية دراسة مقارنة** ، المكتب العربي الحديث، الأسكندرية، د.ت.
2. **حسن**، ابراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، ج1، 1914م، ص410.
3. **حسن**، ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن: **النظم الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.
4. **حسن**، علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، كلية العلوم للطباعة والنشر، القاهرة، 1980م.
5. **حسين**، حاج حسن: **النظم الإسلامية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1460هـ – 1987م.
6. **الحميداني**، نمر بن محمد: **ولاية الشرطة في الاسلام دراسة فقهية– تطبيقية**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1413هـ–1993م.
7. **شلبي**، أحمد: **موسوعة التاريخ الإسلامي مكتبة النهضة المصرية**، القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت.
8. **الصلابي**، محمد علي: **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، دار المعرفة، بيروت ، 2008.
9. **طقوش**، محمد سهيل: **تاريخ الدولة الأموية**، دار النفائس، بيروت، 1431هـ–2010م.
10. **عبد الخالق**، فريد : **الحسبة في الإسلام على ذوي الجاه والسلطان**، القاهرة ، دار الشروق ، الطبعة الأولى، 2011م .
11. **الفحام**، ابراهيم: **الشرطة من الدولة الطولونية حتى نهاية الدولة الأيوبية**، د.ن، د.م، 1961م.

12. **الكرمي**، حافظ أحمد عجاج : **الإدارة في عصر الرسول دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ، 2006م.

13. **ماجد**، عبد المنعم : **تاريخ العصر العباسي الأول**، مكتبة الأنغلو المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1973.

14. **ماجد**، عبد المنعم : **دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

15. **محمد**، اسماعيل علي: **مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية**، دار النداء، اسطنبول، الطبعة الأولى، 2014م.

16. **المزيني**، نادر بن حمد بن ناصر : **شرطة العدالة في ولاية الحسبة القضاء المظالم**، د. م، الرياض، 1414هـ-1994م.

17. **النقرش**، اسماعيل: **نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الطبعة الأولى، 2015م.

- **المجلات :**

1. **القطان**، مناع: **الشرطة في الإسلام**، مجلة قوى الأمن الداخلي، الرياض، السعودية، العدد الأول، 1398هـ.

Al-Masadeir:

AlQur'an ALkareem:

1. **Ibn al-Atheer**: Izz al-Din Abu al-Hasan Ali bin Muhammad al-Shaibani (t630 H – 1233):Alkamil fi altarikh , Dar Sad, Beirut,1965.
2. **Ibn Khaldun**: Abd al-Rahman bin Muhammad bin Khaldun al-Hadrami (808 H-1406 m), muqadimat Ibn Khaldun, Dar Al-Qalam liltaba'a wa alnashr, Beirut 1984.

3. **Al-Zarkali**, Khair Al-Din Bin Mahmud Bin Ali Bin Faris (1396 H – 1976 M): ali'ilam, d.n, Beirut, altaba'a althalithah, j2,I. 1389H-1969M.
4. **Sahl**, Issa: al'ahkam alkubra , tahqiq Yahya Murad, Dar Al Hadith, Alqahira,2007M.
5. **Al-Shirazi**, Abd AlRahman bin Abdullah bin Nasr(t. 59H.119M): nihayat alrutbah fi talab alhisba, tahqiq Muhammad Hassan Ismail- Ahmad Farid Al-Mazidi, nuskhat Dar Alkitab Almisriah , Alqahira, d.t.
6. **Alsaabi**, (Abi Al-Hassan Al-Hilal Bin Mohsen): tuhfat alumara' bitarikh alwuzara'a , tahqiq Abd AlSattar Faraj, Dar Eihya'a Alkutub Ala'arabiah , d. m, 1958M.
7. **Ibn al-Sairafi**, Amin Abi Qasim Ali bin Munjib: al'iisharah 'ilaa man nab alwizarah, tahqiq Abdullah Mukhlis, matba'at alma'ahad al'eilmi alfaransi, alqahira, 1933M.
8. **Al-Tabari**, Muhammad bin Jarir (t. 310 H 923 M): Jame'i Al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, almatba'a alamyria alkubra, alqahira , j. 26, 1905M.
9. **Al-Tabari**, Abu Jaafar Muhammad Ibn Jarir (t. 310 H 923M): Tarikh Alumam wa almuluk, Dar Sweidan liltiba'a wa alnashr, Beirut, j3, 1967M.
10. **Al-Ghazali**, Abi Al-Hamid Muhammad bin Muhammad (t. 505 H - 1111 M) Eihya'a
    ulum aldeen – almujalad althani, Dar Al fikr, Beirut, 1409H-1989M.
11. **Al-Qalqashandi**, Abu al-Abbas Ahmad bin Abdullah bin Ali (821 H 1283 M): ma'thar alinaafah fi ma'alim alkhilafah, wizarat alirshad wa alanbaa', Alkwait, j3, 1964M.
12. **Al-Mawardi**, Abu Al-Hasan bin Muhammad Habib Al-Mawardi Al-Basri Al-Baghdadi (t. 450 H - 1058): al'ahkam alsultania walwilaya aldiynia , tahqiq Ahmed Mubarak Al-Baghdadi, Dar Qutaiba, Kuwait, 1409-1989 m.

13. **Al-Maqqari Al Tlemcani**, Abu al-Abbas Ahmed bin Muhammad(t 1041H- 1631M): nafah altayib mn ghusn Al Andalus alratib, tahqiq Ehsan Abass, Dar Sader, Beirut, 1968M.
14. **Ibn Manzur**, Jamal al-Din Muhammad Ibn Makram (711 H): Lisan al-Arab, Dar Sader, , Beirut, j1, 1968M.
15. **Al-Qushaeri**:Al Imam Muslim bin Al-Hajjaj bin Muslim (261 H-875M): Sahih Muslim , tahqiq Abdullah Ahmad , Dar Alshaab liltiba'a wa alnashr , alqahrt , j4, d.t.
16. **Ibn Hisham**: Abu Muhammad bin Abd Al-Hamid (t 213H- 828M): alsiyirah alnabawiah , ta'aliq Mohi Al-Din Abd Al-Hamid, matba'at Al-Hijazi,j2. Alqahira.

Almarajie

1. **AlAsbiey**, Mohammad Ibrahim: Alshurtah fi alnuzum al'islamiah wa alqawanin alwadeiah dirasah muqarnh, almaktab alarabi alhadith , Aliskandria, d , t.
2. **Hasan**, Ibrahim hasan: tarikh alislam alsyasy,maktabah alnahdah almisriah , alqahira, altaba'ah alsabiea , j1, 1914M,S 410
3. **Hasan**, Ibrahim hasan, Hasan, Ali Ibrahim: alnuzum al'islamiah, maktabah alnahdah almisriah , alqahira, d , t.
4. **Hasan** , Ali Hasan: alhadarah alislamiah fi Almaghrib w Al'andalus , kuliyat aleulum liltiba'ah wa alnashr , Alqahira,1980M.
5. **Husain Haj Hasan**: alnuzum alislamiah , almuasasah aljamieiah lildirasat wa alnashr, Beirut , t ,1460-1987.
6. **Alhamidani**: Namr bin Mohammad: wilayat alshurtah fi alislam dirasah fiqhia -tatbiqiah, Dar a'alam alkutub liltiba'a wa alnashr, Alriyad , altaba'a al'uwlaa,1413H- 1993M.
7. **Shalaby**, Ahmed: mawsua'at altarikh alislami maktabat Alnahdah almisriah , Alqahira, altaba'a althania.
8. **Al-Saalbi**: Muhammad Ali: aldawlah alumawia a'awamel alizdihar wa tadaeiat alinhiar, Dar Al Ma'arifa , Beirut, 2008.
9. **Takkoush**, Muhammad Suhail: tarikh aldawlah alumawia, Dar Al-Nafaes, Beirut 1431 H - 2010 M.

10. **Abd Alkhaleq**, Farid: alhisba fi alislam a'ala thawi aljah wa alsultan, Alqahira , Dar Al Shorouq, altaba'a al'uwa, 2011M.
11. **Abd Alkhaleq**, Farid: nash'at tataur alshurta fi aldawlah alislamia.
12. **Al-Fahham Ibrahim**: alshurtah min aldawlat altuluniah hataa nihayat alaywbya, d, n, d, m, 1961M.
13. **Al-Karmi**, Hafez Ahmad Agag: al'idarah fi a'asr alrasul dirasa tarikhia lilnuzum al'idariah fi aldawlat al'islamiah al'uwla , Dar Alsalam liltaba'a wa alnashr, Alqahira , 2006M.
14. **Majed**, Abd Almoneim: tarikh ala'asr alabbasi ala'awal, maktabat Alanglo almisriah liltiba'a wa alnashr , Alqahira , 1973.
15. **Majed**, Abd Almoneim : dawlat salatin almamalik wa rusumihem fi misr , maktabat alanglo almisria, Alqahira.
16. **Muhammad** , Ismail Ali: madkhal 'ila dirasat alnuzom alislamiah, Dar Al-Nidaa, Istanbul, altaba'a al'uwlaa , 2014M.
17. **Al-Muzaini**, Nader bin Hamad bin Naser: shurtat ala'adalah fi wilayat alhisba alqadaa' almazalim, d, m, Alriyad , 1414H-1994M.
18. **Alnaqrash** , Ismail: nash'at w tatawur jihaz alshurtah fi aldawlah al'islamiah , manshurat wizarat althaqafah , Amman , altaba'at aluwlaa, 2015M.

Almajallat:

1. **Alqattan**, alshaykh Manna'a: alshurtah fi al islam Majalat quaa al'amn aldakhili, ala'adad al'awal , Alriyad , 1398 H.

تحسين التّصنيف الآلي المُراقب للصور الفضائيّة المُتأثرة بالضباب

آلاء محمد جبري.[1] إشراف: أ.م.د: أسماء الفوّال.[2]

جامعة دمشق– كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة– د.م. محمّد علاء شعلان.[3] قسم الجغرافية.

ملخص

تؤثر الظروف الجويّة السّائدة أثناء التقاط الصور الفضائيّة كوجود الغيوم والضباب على جودة الصور الفضائيّة ووضوحها، مما ينعكس على دقّة نتائج التّصنيف الآلي لهذه الصور. حيث أن الغيوم تؤدي لطمس معالم الصورة وتحول دون امكانية تفسيرها. كما أن الغيوم الرقيقة والضّباب يُسبب تشويشاً في الصورة ويقلل من وضوحها.

يتناول هذا البحث الأثر السّلبي للضّباب على تصنيف المشاهد الفضائيّة من خلال مثال تطبيقي على صورة فضائيّة لمنطقة الدراسة الواقعة في جنوب شرق دمشق مُلتقطة بتاريخ 2020/1/31م، بواسطة التّابع الصّناعي Sentinel–2. تظهر في المشهد المستخدم بعض الغيوم والضباب مما يقلل من وضوح المشهد.

تمَّ تصنيف المشهد تصنيفا مراقبا وتم حساب دقة التصنيف حيث لم تكن النتيجة مرضية تماما. لذا تم تطبيق عملية تقليل الضّباب (Haze Reduction)، وإعادة التصنيف. من خلال مقارنة نتائج التصنيف قبل إجراء عملية تقليل الضباب وبعدها ليتبيّن التحسّن الملحوظ بدقّة التّصنيف المُراقب.

الكلمات المفتاحية: المشاهد الفضائية– التصنيف المُراقب– تقليل الضباب.

[1] : طالبة دكتوراه في الخرائط ونظم المعلومات الجغرافية- قسم الجغرافية- كليّة الآداب والعلوم الانسانيّة- جامعة دمشق.

[2] : أستاذة مساعدة في قسم الجغرافية- كليّة الآداب والعلوم الانسانيّة- جامعة دمشق.

[3] : باحث في الدّراسات العمرانيّة لدى الهيئة العامّة للاستشعار عن بُعد- الصبّورة- ريف دمشق.

Improve Automatic Supervised Classification of Fog-Affected Sattelite Images

Prepared by: Alaa Muhammad Jabri.[1]
[2]Under the supervision of Prof. Asmaa El Fawal.[2]
Dr.Eng. Muhammad Alaa shalan.[3]

Abstract

The weather conditions prevailing during the capture of satellite images, such as cloudiness and fog, affect the quality and clarity of these images. Thus, the accuracy of automatic classification of these images will be reduced, especially within areas blurred by clouds. These will cause distortion in the image radiometric values and reduce its clarity and ability for interpretation.

This research presents the negative effect of thin clouds and fogs on satellite image's classification for an area in the neighborhood of southeastern Damascus. A supervised classification was conducted on Sentinel-2 image. The obtained accuracy was not satisfactory due to presence of some thin clouds and haze affecting the image's clarity.

The same image was pre-processed by applying a haze reduction operation and then reclassified and its classification's accuracy was recalculated. The result shows a clear improvement in the classification's accuracy of satellite's image.

Key words: Satellite images − Haze reduction− Supervised classification.

1: PhD student in Maps and Geographic Information Systems - Department of Geography - College of Arts and Human Sciences - University of Damascus.
2: Assistant Professor in the Department of Geography - Faculty of Arts and Humanities - Damascus University.
3: Researcher in urban studies at the General Authority for Remote Sensing, Al-Sabboura, Damascus Countryside.

المقدمة:

تزايدت في الآونة الأخيرة التقانات والتّطبيقات المتعددة في معالجة البيانات الفضائيّة ودراسة خصائصها في مختلف مجالات الاستشعار عن بُعد وتطبيقاته كدراسة استعمالات الأراضي والغطاء الأرضي والتطبيقات الجيولوجية والجيومرفولوجية والمورفولوجيا وغيرها من التّطبيقات التي باتت تعتمد بشكل أساسي على معطيات الاستشعار عن بُعد المتنوّعة. حيث تُعدّ المشاهد الفضائيّة أفضل مصدر للبيانات لتمكين المهتمين بتنفيذ دراساتهم المتنوعة في تطبيقات الاستشعار عن بُعد. تتميّز المشاهد الفضائية بتنوّع كبير من حيث النّوع (طيفي–راداري...) ومن حيث قدرات التمييز المكانيّة والطّيفيّة. كما أن طرق المعالجة الرّقميّة وتقاناتها المتعدّدة أعطت إمكانيّة كبيرة لاستخلاص وتفسير معلومات المشاهد وفقاً للهدف المطلوب[1] PP.193-208، كتقنيّة تصنيف الغطاء الأرضي التي تُعدّ أحد أهم التطبيقات لمعطيات الاستشعار عن بُعد[2] ص: 472، والتي تتم من خلال تحويل عناصر المشهد (Pixels) لأصناف من غطاء الأرض بشكل آلي اعتماداً على التّركيبات المختلفة للقيم الرّقميّة(Numbers Digital) في المشهد الطيفي. حيث تختلف هذه القيم وفقاً لخصائص السمات الأرضيّة المتنوعة التي تمثّلها وانعكاسيتها الطّيفيّة الخاصّة بها والتي تدعى البصمة الطيفية (Spectral Signature).

تتأثر عمليّة التصنيف الآلي للغطاء الأرضي بشكل كبير بمدى وضوح الصّورة وتأثرها بالظروف الجويّة السائدة أثناء التقاط الصّورة كتواجد الغيوم أو الضباب، لذلك يتم إجراء سلسلة من عمليات المعالجة الرقميّة على الصّورة لإزالة أو تقليل الأثر السلبي لها على الصّورة الملتقطة، للحصول على تصنيف آلي أكثر دقّة للصّورة الفضائيّة.

مشكلة البحث وأهميّته:

قد يضطر الباحث أحياناً لاستخدام صورة فضائيّة بتاريخ محدد لدراسة أو مراقبة ظاهرة معيّنة من الظواهر الجغرافيّة، في فترة زمنية محددة وقد يصحب هذه الفترة الزمنية أجواءً غائمة أو ضبابيّة تؤثر بشكل سلبي على وضوح الصورة الفضائية المُلتقطة في تلك الأثناء، حيث يؤثر الضباب على خصائص بيانات الاستشعار عن بعد ويمكن أن

يتسبب بانخفاض كبير في دقة نتائج مراحل المعالجة (مثل التصنيف) [3] و[4] و[5]، من هُنا جاءت فكرة البحث وأهميّته في اقتراح منهجيّة من عدة خطوات تُساعد على تحسين الصّورة والتقليل من أثر الضّباب على نتائج تصنيف المشاهد الفضائية المتأثرة بهذه الظاهرة الجوية.

فرضيّات البحث:

تُساعد عمليّات معالجة الغلاف الجوي وتقليل الضّباب (Haze Reduction) المطبقّة على الصّور الفضائيّة في تحسين دقّة نتائج التّصنيف الآلي المُراقب.

حدود البحث الزمانيّة والمكانيّة:

طُبّق البحث على صورة فضائيّة مُلتقطة بواسطة التابع الصُّنعي (Sentinel-2) وبقدرة تمييز مكانية (10) متر، تعود لتاريخ 2020/1/31م، لمنطقة واقعة جنوب شرقي مدينة دمشق، تمتد إحداثياتها الجغرافية بين خطي طول ً36,22,00َ و ً36,28,00َ شرق غرينتش، ودائرتي عرض ً33,28,00َ و ً33,32,00َ شمال خط الاستواء.

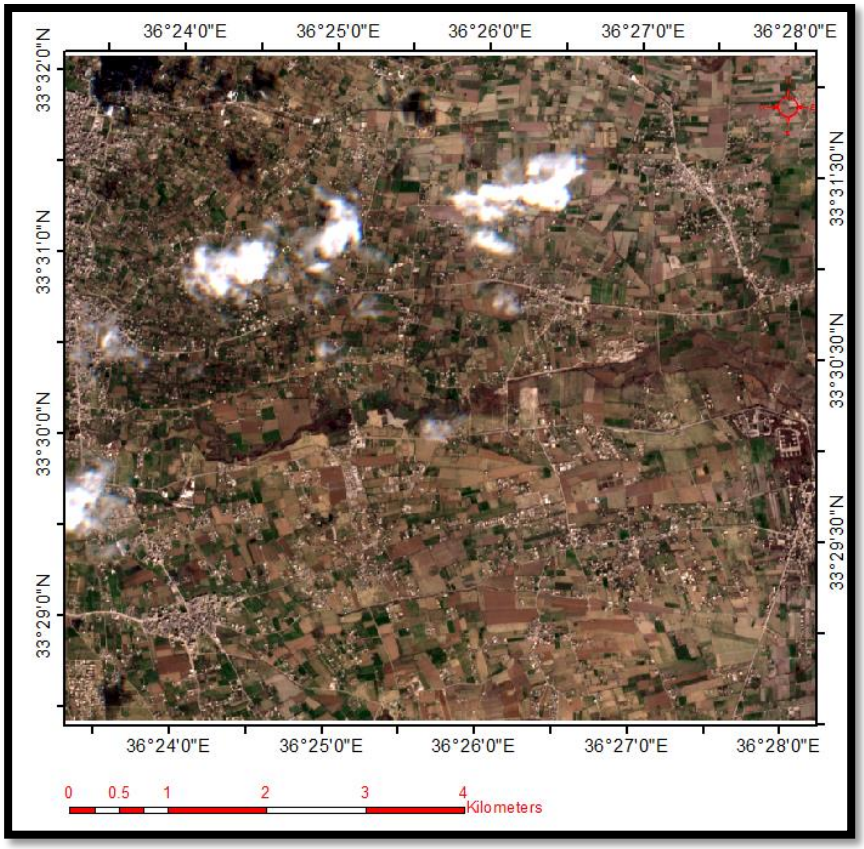

الصّورة (1): صورة فضائيّة مُلتقطة بواسطة التابع الصّنعي (Sentinel-2) لمنطقة جنوب شرق دمشق،

بتاريخ 2020/1/31م (قبل إجراء عمليّة تقليل الضّباب).

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائيّة:

الضباب (Haze): *تعليق لقطرات من الماء صغيرة جدا، وتكون عادةً مجهرية، في الهواء مما يقلل من مدى الرؤية على سطح الأرض [6].*

التصنيف المراقب Supervised classification: يعتمد التّصنيف المراقب على معلومات عن الخصائص الطيفيّة لغطاء الأرض في المنطقة يتم جمعها مسبقاً من خلال الزيارات الميدانيّة والخرائط، حيث يقوم مُصنّف الصورة الطيفية باختيار مناطق عيّنات تّدريب (Training area) وذلك لكلّ ظاهرة أو صنف من أصناف غطاء الأرض المتمايزة في منطقة الدراسة بحيث تكون هذه العينات ممثلة للأهداف المراد تصنيفها

وذلك بهدف وضع دليل تفسير رقمي يصف الخصائص الطيفيّة لها[7]، ثم يتم حساب معاملات إحصائيّة من بيانات مناطق التّدريب ومقارنة مجموعة قيم الأعداد الرّقمية الطيفية لكل عنصر من الصورة مع هذه المعاملات الإحصائيّة فإذا وافقت الخصائص الطيفية لأحد غطاءات الأرض يتمُ نسب عنصر الصورة المدروس لهذا الغطاء، وبذلك يتم تصنيف كافة بيكسلات الصورة تصنيفاً مُراقباً.

الإطار النظري للبحث:

يُعرّف الاستشعار عن بُعد بأنه مجموعة من الوسائل والطرق العلميّة التي يمكن بواسطتها الحصول على المعلومات عن أهداف محددة من مسافات بعيدة دون الاتصال المباشر مع هذه الأهداف، وتعتمد هذه التقانة على أجهزة تسمى مستشعرات تتحسس أطوال أمواج معينة من الأشعة الكهرومغناطيسية، وتكون هذه المستشعرات محمولة على متن الأقمار الصنعيّة بحيث تقوم بقياس الطاقة الكهرومغناطيسية المُنبعثة من الأهداف الأرضية وتخزينها ثم إرسالها لمحطات الاستقبال الأرضية على شكل مشاهد فضائية بهدف رصد المظاهر والأنشطة الطبيعية والاصطناعية بشكل دوري على سطح الأرض.
وتختلف صور التّوابع الصّنعيّة من حيث دقّة التمييز المكانية (أبعاد عنصر الصّورة) Pixel وهي مساوية لأبعاد أصغر هدف يمكن تمييزه على الصّورة الفضائيّة. في هذا البحث تم استخدام صورة فضائية بقدرة تمييز مكاني متوسطة تصل إلى (10متر) مُلتقطة بواسطة التابع الصّنعي Sentinel-2.

هذا وتحتاج البيانات الأولية (الخام) للمستشعرات لإجراء عدة عمليات تصحيحية للبيانات الأولية يطلق عليها المعالجة الأولية للبيانات (Preprocessing) قبل الشروع في تحسين البيانات واستخلاص المعلومات منها، وذلك للتخلص من التشوهات الناتجة عن عوامل عديدة كالغلاف الجوي وتأثيره على الأشعة المستقبلة بواسطة المستشعر، وحركة الجهاز المستشعر والمنصة الحاملة له أثناء عملية المسح لالتقاط المشهد، كما تحتاج الصور متعددة الأطياف لتجميع المجالات الطيفية في ملف واحد واقتطاع المنطقة المُراد دراستها للتقليل من حجم البيانات المطلوب مُعالَجتها.

الدراسات السابقة:

تزايد في الآونة الأخيرة اهتمام الباحثين في سبُل تطوير التّصنيف الآلي للصور الفضائيّة وأساليب الذكاء الاصطناعي، من خلال التطرّق لعمليات المعالجة المكانية والطّيفية بعد أن كانت تقتصر معظم الدّراسات الاستشعارية على استخدام التّفسير البصري في تصنيف الصّور الفضائيّة، وقد أُجريت عدّة دراسات حاول من خلالها الباحثون إجراء تحسينات على التّصنيف الآلي للصور الفضائيّة باستخدام عمليات معالجة رقميّة مُختلفة، نذكر من هذه الدّراسات:

أ- الدّراسات العربيّة:

- دراسة (منّاع أحمد عيسى، 2017، سورية)، بعنوان "**تطوير طريقة لزيادة دقة التصنيف الآلي لاستعمالات الأراضي باستخدام (RS- GIS) مركز ناحية السويداء أنموذجاً**" حيث قام الباحث خلالها بإنشاء مكتبات طيفيّة تستند إلى القياسات الراديومتريّة لمعظم الأهداف الموجودة، ثمَّ تطبيق هذه القياسات مع القرائن الطيفيّة المشتقّة منها في منهجيّة إحصائيّة للعتبات الحديّة ضمن شجرة قرار في تصنيف استعمالات الأراضي من الصورة الفضائيّة في منطقة البحث، وقد اقترح الباحث إمكانيّة تعميمها على أراضي الجمهوريّة العربيّة السّوريّة لإعداد خرائط استعمالات الأراضي وتحديثها بشكل دوري.

- دراسة (أنس الفحّام، عيد العبّود، مجد الدين العلي، 2017، سورية)، بعنوان "**تحسين تطبيق خوارزميات التّصنيف غير المراقب على صور الاستشعار عن بُعد باستخدام تقنية تحليل المركبات الأساسيّة**" لجأ فيها الباحثون إلى تشكيل المكعبات الطّيفية التي تعتمد على إنتاج صور ثلاثية الأبعاد ببعدين مكانيين (جغرافيين) وبُعد ثالث يُمثّل الأطوال الموجيّة المُختلفة لحلّ مشكلة التشابه في ألوان وأشكال المشاهد المصوّرة عند تحليل مكونات الصّورة وتسهيل عملية تصنيف محتويات الصور وتمييز العناصر المتشابهة فيها وحساب نسبتها في الصورة باستخدام أقل عدد من الحزم الطيفيّة، وقد استخدم الباحثون خوارزميّة التّصنيف غير المراقب (K-means) لإجراء التّصنيف الكمّي والنّوعي لمحتويات الصّور الطيفيّة وذلك بعد تخفيض أبعاد المكعّب الطيفي باستخدام تحليل المركبات الأساسيّة (PCA)، وكانت النتيجة أنه من الممكن تخفيض

أبعاد المكعّب الطيفي دون التّأثير على المعلومات الأساسيّة للصّورة وبالتّالي التّخفيض من التّعقيد الحسابي والبرمجي بالإضافة إلى إمكانيّة التّعرّف على محتويات الصور وتصنيفها نوعاً وكمّاً بأقل عدد من الحزم.

– دراسة (فاتن عزيز مصطفى، تور كان أحمد خليل، الماس أحمد خليل، 2008، العراق)، بعنوان "**تمييز المظاهر الأرضيّة باستخدام التّحويل المويجي**" والتي تضمنّت دراسة تقنية التحويل المويجي وتطبيقه في إبراز معلومات حزم البيان الفضائي لمنطقة سد الموصل واستخراج المظاهر الأرضية لهذه المنطقة بتطبيق خوارزمية التّصنيف المراقب (Mahalanobis Distance) على الحزم النّاتجة، حيث أظهرت نتائج التّصنيف للصور النّاتجة من مرحلة التّحويل المويجي دقّة عالية للصورة مقارنة بنتائج التّصنيف للصور الأصلية غير المحسّنة باستخدام التّحويل المويجي.

ب– الدراسات باللغة الأجنبيّة:

– دراسة **لبّان، وعبد اللطيف وآخرون. Laban, Abdel latif, and other. (2018)**

بعنوان: "Performance Enhancement of Satellite Image Classification Using a Convolutional Neural Network"

تحسين أداء تصنيف صور الأقمار الصّناعيّة باستخدام الشبكان العصبيّة التلافيفية (CNNs).

وقد تناولت هذه الدّراسة تقييم التأثير الناتج عن تخفيض العيّنات حسب مقياس الصورة على عملية التمييز باستخدام خوارزميات الشبكة العصبية CNNs لتصنيف المشهد الفضائي بدون التأثير بشكل مباشر على دقّة التصنيف، وقد أُجريت التجارب على صور مختلفة المقاييس ومجموعة بينات استشعاريّة مُختلفة، ونجحت الطريقة المقترحة في تحسين نتائج التّصنيف دون الحاجة لاستخدام المقاييس الأصلية بشكل مُباشر.

– دراسة **العبّادي ومهدي ورستم، El Abbadi, Mahdi, Rustum(2017)**، العراق.

بعنوان **"Single Image Haze Removal via Accurate Atmosphere Light"**

اقترحت هذه الدّراسة صيغة جديدة لتعزيز التباين المحلي للصورة، حيث تم تطبيق الطريقة المقترحة على أكثر من 3000 صورة ضبابية، وقياس جودة الصور باستخدام العديد من معايير الجودة (الجودة المرجعية والجودة العمياء)، وقد نتج عن الطريقة المقترحة نتائج جيدة مقارنة بالطرق الأخرى.

– دراسة (**Alesheikh ،1992م**) جامعة الطوسي للتكنولوجيا.

بعنوان:

"**Improving Maximum Likelihood Classification Accuracy Using A–priori probability**"

"تحسين التصنيف بأسلوب الاحتمالية العظمى باستخدام الاحتمالية المسبقة "

استخدم الباحث التفسير البصري وطرق التصنيف الآلي المختلفة للصور الفضائية وتوصل إلى أنّ التصنيف الآلي اعتمادا فقط على الانعكاس الطيفي لعناصر الصورة لا يعتبر كافياً في بعض المناطق حيث استخدام طريقة تصنيف الاحتمال الأعظمي (MLC) بهدف تحسين دقّة التصنيف الأراضي الزراعية في شمال غرب إيران.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمد البحث عدّة طرق ومناهج لوصف وتحليل ومعالجة مشكلة البحث وعرضها ومن ثم تحليل ومقارنة النتائج وهي:

– **الطرق الاستشعاريّة (Sensing Ways)**: يعمل البحث على تحليل مشهد فضائي لمنطقة واقعة جنوب شرقي دمشق متأثرة بالضّباب ومُلتقطة بواسطة التابع الصُّنعي (Sentinel–2) وبدقّة تمييز مكانية تصل إلى (10) متر، ومعالجتها من خلال

الاعتماد على برامج تحليل الصور الفضائيّة (Image Processing Programs) ومن ثم تصنيفها من خلال تطبيق خوارزمية (Maximum likelihood) تصنيفاً مُراقباً، وإجراء عمليّة اختبار الدّقّة (Accuracy Assessment) قبل معالجة الصورة من الضّباب. تم بعد ذلك تطبيق عمليّة تقليل الضّباب (Haze reduction) وإعادة عمليّة التّصنيف واختبار دّقة التصنيف، والمقارنة بين نتائج التّصنيفين لتقدير مدى التّحسّن في دقة التّصنيف بعد معالجة المشهد للتقليل من أثر الضّباب.

- **منهج البحث الكارتوغرافي (Cartographic Method):** يعتمد البحث على المنهج الكارتوغرافي بشكل أساسي لعرض نتائج تصنيف الصّورة الفضائية قبل وبعد معالجتها من الضّباب، من خلال إخراجها على شكل خرائط لتوضيح هذه النتائج والحصول على المعلومات الممكن استنباطها من المشهد، والمساعدة على تكوين تصوّرات كاملة عن موضوع البحث ومراحله وتحليلاته ونتائجه، وللتمكّن من إجراء المقارنة بين نتائج التصنيف بدون أو مع إجراء معالجة المشهد لتقليل أثر الضباب.

- **منهج البحث المُقارن (Comparative Research Methodology):** تم من خلال البحث إجراء مقارنة بين نتائج التّصنيف المُراقب للصورة الفضائيّة قبل إجراء عملية تقليل الضّباب وبعدها، لمعرفة وتقدير مدى التحسّن في نتائج تصنيف المشهد الفضائيّ في حال تطبيق عمليّة تقليل الضّباب (Haze Reduction) على المشهد.

عرض البحث والمناقشة والتحليل:

بعد الحصول على الصورة الفضائية الخام من موقع المساحة الجيولوجية الأمريكية المُلتقطة بواسطة التابع الصُّنعي (Sentinel-2) لدمشق ومحيطها تم اقتطاع منطقة الدراسة من الصورة لتسهيل عمليات المعالجة فيما بعد، ثم جُمّعت القنوات الطيفية للصورة متعددة الأطياف بإجراء عملية (Layer stack)، وتصحيح الصورة راديومترياً لإزالة تشويش الغلاف الجوي وتحويل القيم الرّقميّة لخلايا الصّورة إلى قيم انعكاسيّة باستخدام برنامج (Quantum GIS 3.10.1) لمعالجة وتحليل قواعد البيانات الجغرافيّة ومعطيات الاستشعار عن بُعد.

ثم تمّ تصنيف الصّورة الفضائيّة باستخدام برنامج (Erdas Imagine2014) تصنيفاً مُراقباً معتمداً على خوارزميّة تقدير الاحتمال الأعظمي (Maximum likelihood) لأنّها أثبتت كفاءة أفضل في نتائج عمليّة التّصنيف مقارنةً بالطّرق الأخرى، وقدّ تمَّ تدريب هذه الخوارزمية على عيّنات لاستخدامها في عمليّة التّصنيف وذلك من خلال تسجيل البصمات الطيفية لكل فئة من فئات التّصنيف باستخدام أداة (Signature editor)، حيث تم اعتماد أربعة أصناف رئيسية تمثل: 1-النبات، 2-الترب (وتضم المساحات الجرداء أو المناطق الغير مزروعة)، 3-العمران، 4-الغيوم.

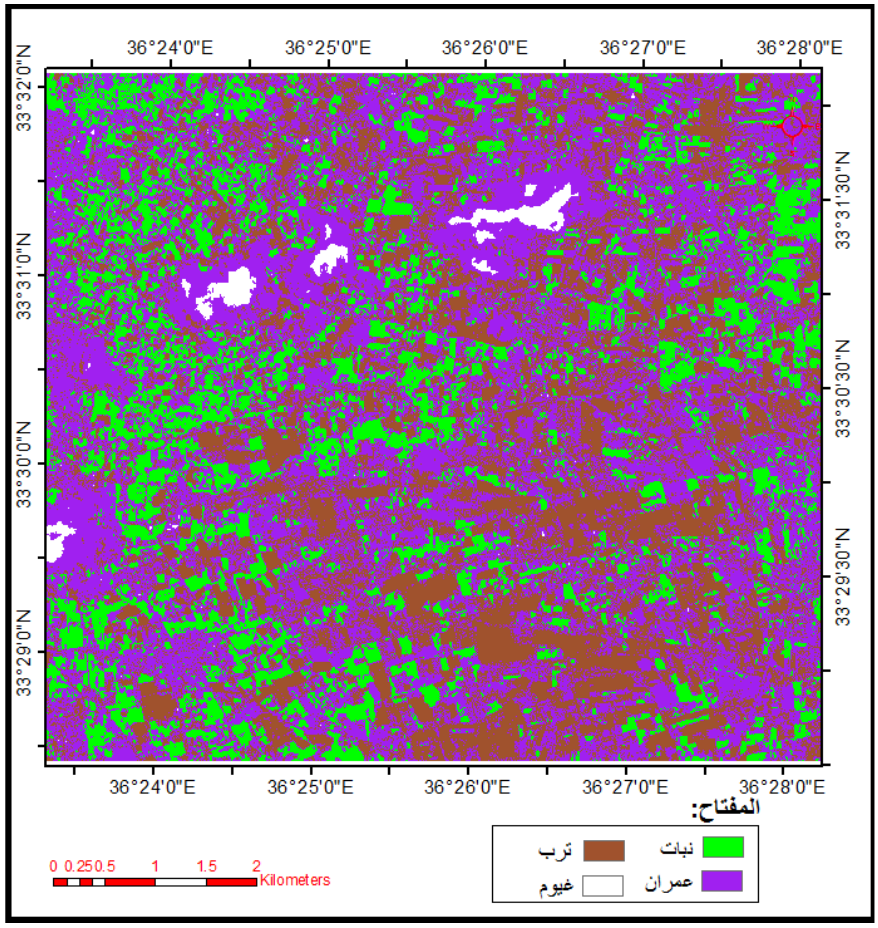

الخارطة(1): التّصنيف المُراقب للصّورة الفضائيّة المُتأثرة بالضباب

قبل إجراء عمليّة تقليل الضّباب (Haze Reduction).

بعد إجراء عمليّة التّصنيف المُراقب للصورة الفضائيّة المُتأثّرة بالضّباب تمّ تقييم دقّة التّصنيف (Accuracy Assessment)، وذلك من خلال إضافة (50) نقطة لإجراء التحقق الحقلي موزّعة بشكل عشوائي على كامل المنطقة المدروسة، وإجراء مُقارنة بين نتائج التّصنيف الآلي والغطاء المرجعي للمناطق التي تمثلها كل نقطة من هذه النقاط، وتم حساب الدقّة الإجمالية (Overall Accuracy) لنتيجة التّصنيف الآلي لهذا المشهد الفضائي قبل إجراء عمليّة تقليل الضّباب، حيث بلغت نسبة الدّقة الإجمالية للتّصنيف (54%) فقط مما يؤكّد الأثر السّلبي للضباب على نتائج التّصنيف الآلي للصورة.

بعد ذلك تمَّ تطبيق عمليّة تقليل الضّباب (Haze Reduction) على الصّورة المُتأثرة بالضّباب باستخدام برنامج مُعالجة الصّور الفضائيّة (Erdas Imagine).

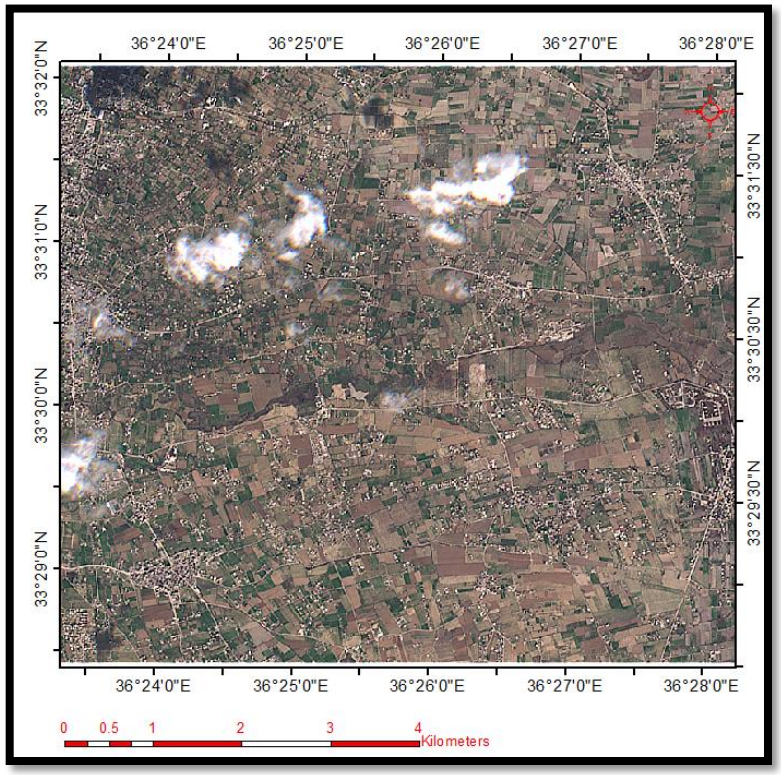

الصّورة (2): صورة فضائيّة مُلتقطة بواسطة التابع الصّنعي (Sentinel-2) لمنطقة جنوب شرق دمشق

بتاريخ 2020/1/31م (بعد إجراء عمليّة تقليل الضّباب).

وإعادة تصنيف الصورة تصنيفاً آليّاً مُراقباً باستخدام خوارزمية التّصنيف المُستخدمة سابقاً وهي خوارزمية تقدير الاحتمال الأعظمي (Maximum likelihood) وتدريبها مُجدداً على نفس مناطق عينات التدريب المستخدمة سابقا ولكن باعتماد البصمات الطّيفية الجديدة لأصناف غطاء الأرض في المشهد الفضائي بعد مُعالجتها من الضباب.

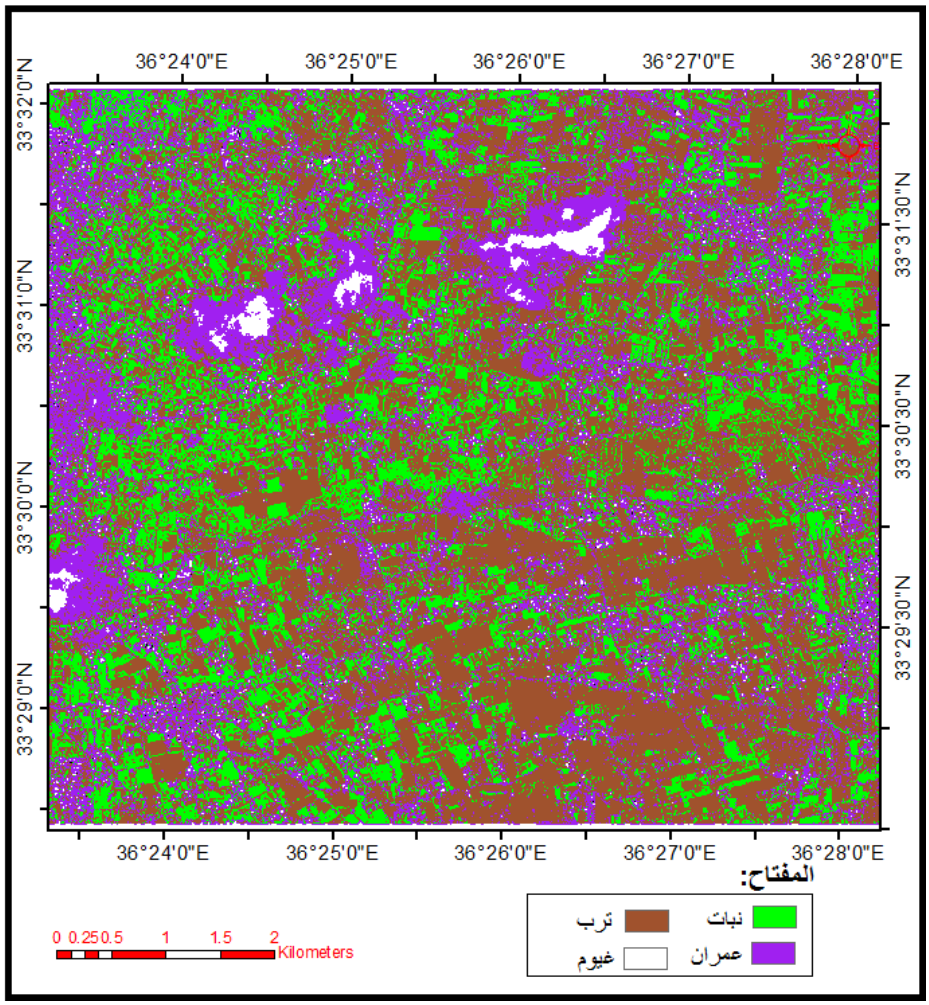

الخارطة(2): التّصنيف المُراقب للصّورة الفضائيّة المُتأثرة بالضباب

بعد إجراء عمليّة تقليل الضّباب (Haze Reduction).

تم تقييم دقّة نتيجة التّصنيف الآلي الجديد بعد مُعالجة الصّورة من تأثير الضّباب باستخدام نقاط التحقّق الحقلي الخمسون الموّزعة سابقاً على أرجاء الصّورة. وتبين أن دقة التصنيف قد ارتفعت بشكل ملحوظ حيث بلغت دقّة التّصنيف الآلي المُراقب للصّورة الفضائيّة المعالجة نسبة (92%).

خاتمة البحث ونتائجه:

ختاماً فقد تبيّن من خلال البحث أنَّ عمليات المعالجة الرّقميّة للصور الفضائيّة بشكل عام وعمليّة تقليل الضّباب (Haze Reduction) بشكل خاص، تُساهم في زيادة نسبة دقّة التّصنيف الآلي للصور الفضائية بشكل ملحوظ، مما يؤكد أهميّة وكفاءة هذه العمليّة في تحسين نتائج تصنيف الصّور الفضائيّة المُتأثّرة بالضباب، وخلص البحث لعدة نتائج أهمها:

1 – تُساهم عمليّات المُعالجة الأوليّة للصّور الخّام قبل الشروع في تحسين البيانات واستخلاص المعلومات منها، في التخلّص من التشوهات الناتجة عن عوامل عديدة كالغلاف الجوي وتأثيره على الأشعة المستقبلة بواسطة المستشعر، وحركة الجهاز المستشعر والمنصة الحاملة أثناء التقاط المشهد، وتساهم عملية تحويل القيم الرقمية لعناصر الصّورة إلى قيم الانعكاسيّة عند سطح الأرض بتحسين المشهد وبالتّالي الحصول على نتائج تصنيف أكثر دقّة.

2– أظهرت خوارزمية التصنيف بطريقة الاحتمال الأعظمي (Maximum Likelihood) كفاءة عاليّة في تصنيف الصّورة الفضائيّة المُستخدمة وكانت نتائجها الأفضل مقارنة بنتائج خوارزميات التّصنيف الأخرى.

3– ساعدت عمليّة تقليل الضّباب (Haze Reduction) في تحسين نسبة دقّة تصنيف الصّورة المُتأثرة بالضّباب بشكل كبير حيث ارتفعت من (54%) قبل إجراء عمليّة تقليل الضّباب إلى (92%) بعدها، أيّ أنها حسّنت من التّصنيف الآلي للصورة الفضائيّة بنسبة (38%)، الأمر الذي يؤكدّ ضرورة تطبيقها قبل الشروع في تصنيف الصّور الفضائيّة المُتأثرة بالضباب للحصول على نتائج أفضل.

المصادر والمراجع:

[1] RICARDS, A. and JIA,X.,2006. -Remote Sensing Digital Image Analysis, An introduction. Springer-Verlay,4th edition. Berlin Heidelberg،431p .

[2] ALDAGHSTANY. N, 2004.-The Remote sensing -basics and applications. Dar Almanaheg, 474p.(In Arabic).

[3] AHMAD.A, and QUEGAN.S, 2013.Comparative analysis of supervised and unsupervised classification on multispectral data, Applied Mathematical Sciences, 7(74) (2013), 3681 – 3694.

[4] AHMAD.A, and QUEGAN.S, 2012. Analysis of maximum likelihood classification on multispectral data, Applied Mathematical Sciences, vol.6 . 6425 –6436.

[5] AHMAD.A,2012. Analysis of Landsat 5 TM data of Malaysian land covers using ISODATA clustering technique, IEEE Asia Pacific Conference on Applied Electromagnetics (APACE) , vol.7. 92 – 97.

[6]International Cloud Atlas, World Meteorological Organization, Weather- Climate- water, *Technical Regulations (WMO-No. 49*), 2017 Edition.

[7]LILLESAND.T, and KIEFER.W, 1994.-Remote Sensing and Image Interpretation. 3rd Edition, John Wiley and Sons, Inc., Hoboken, 750p.

البيمارستان النوري في دمشق والواقع الخدمي داخله منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي حتى الوقت الحاضر (دراسة تاريخية وأثرية معمارية)

جامعة دمشق.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

طالب الدكتوراه: انس صبحي نصار.

إشراف: أ. د فايزة محمد الكلاس.

ملخص باللغة العربية

يتناول البحث البيمارستان النوري في مدينة دمشق، لما للبيمارستان من أهمية أثرية معمارية وتاريخية، إذ يعد أحد الرموز الحضارية التي ميزت الفن الإسلامي وأغنته بالمعالم المعمارية السلجوقية، كما له أهمية تاريخية جسدت التسامح الديني والثقافي بين المسلمين والفرنجة المسيحيين، إضافة لأهميته الطبية في علاج الأمراض، فكان مقصد لعدد من الناس والجغرافيين الذين زاروا بلاد الشام وذكروا أهميته في العصور الوسطى من التاريخ العربي الإسلامي.

Bimaristan al-Nuri in Damascus and the service reality within it since the sixth century AH / twelfth century AD until the present (an architectural historical and archaeological study)

Damascus university

Faculty of Arts and Humanities

PhD student: Anas Subhi Nassar

Supervision: Prof. Dr. Fayza Muhammad Al-Klass

ملخص باللغة الأجنبية:

The study deals with the Nuri bimaristan in the city of Damascus, because of the architectural and historical importance of the bimaristan, as it is one of the cultural symbols that characterized Islamic art and enriched it with the Seljuk architectural monuments, as well as its historical importance that embodied the religious and cultural tolerance between Muslims and the Christian Franks, in addition to its medical importance in treating diseases It was the destination of a number of people and geographers who visited the Levant and mentioned its importance in the Middle Ages of Arab Islamic

history.

مخطط البحث

مقدمة:

- أسباب اختيار الموضوع.
- الإشكالية.
- الأهمية.
- المنهج العلمي.
- الصعوبات.

أولاً: تعريف البيمارستان وأنواعه.

ثانياً: خصائص فن العمارة في العصر السلجوقي.

ثالثاً: تاريخ بناء البيمارستان النوري وأسبابه.

رابعاً: العناصر المستخدمة في بناء البيمارستان النوري.

خامساً: مخطط بناء البيمارستان النوري.

سادساً: الزخارف والنقوش.

سابعاً: الواقع الخدمي في البيمارستان النوري.

ثامناً: أهم أطباء البيمارستان النوري.

الخاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة

تميز البيمارستان النوري في مدينة دمشق بالروعة المعمارية والزخرفية التي قدمت لبلاد الشام طراز جديد دمج فيه الفن الشامي بالفن السلجوقي الأسيوي، لينتج عنه فن راقي رفيع المستوى مثلته العمارات التي تعود للعصر السلجوقي في بلاد الشام، وذلك لغناها بالعناصر المعمارية التي تجسد العصور التي سبقته والعناصر الجديدة التي أتى بها السلاجقة معهم، ليضيفوا للعمارة الإسلامية روعة معمارية، خاصة من جهة المقرنصات التي تمثل شكل المحاريب الصغيرة، والبيمارستان النوري يشمل جميع الخصائص التي اتصفت بها العمارة في العصر السلجوقي، لذلك يعد خير مثال لهذه العمارة المتأثرة بالعمارة في بلاد فارس والعراق.

كما أن لدراسة البيمارستان النوري أهمية تاريخية وطبية، وذلك لأنه بني في فترة الصراع الصليبي العربي الإسلامي فأعطى بنائه رقي حضاري للعرب المسلمين مقارنة بالهمجية الصليبية التي مارستها في المشرق الإسلامي، أما الطبية تمثلت بتنوع علومه الطبية وتوسعها بعد احتضانه لنخبة من الأطباء الذين ساهموا في تطوير العلوم الطبية على مر العصور.

ومن البديهي عند التطرق لبحث يخص البيمارستان النوري في مدينة دمشق الإجابة عن عدة أسئلة كونت إشكالية البحث وهي:

1- هل بني البيمارستان النوري في دمشق لأغراض سياسية أم طبية؟

2- هل فنه المعماري مستمد من خصائص معمارية متنوعة أم يستند على الفن العربي الإسلامي فقط؟

3- ما الميزات المعمارية التي أضافها البيمارستان النوري إلى الحضارة العربية الإسلامية؟

فالغاية من هذه الدراسة الإلمام بالعمارة العربية وفهم مدى تمازجها مع الحضارات الأخرى، وتفاعلها معها سواء من الناحية الفنية المعمارية أو من الناحية الطبية، خاصةً أن الدراسة تهتم بمعلم من أهم معالم مدينة دمشق الحضارية، ليبرز ذلك أهمية هذه المدينة ومساهمتها في صنع الحضارة العربية الإسلامية.

وقد اعتمد في كتابة البحث على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، حيث تم جمع المعلومات والروايات التاريخية من المصادر والمراجع وتحليلها بطريقة موضوعية تخدم موضوع البحث.

لكن تخلل البحث بعض الصعوبات التي تجلت في عدم وجود مصادر تاريخية تتحدث عن المخطط الداخلي للبناء فمعظم المصادر ذكرت الواقع الخدمي للبيمارستان وتاريخ بنائه في عهد السلطان نور الدين محمود زنكي، ومن خلفه في العناية بهذا البيمارستان، لذلك اعتمدت على المراجع الحديثة والأثار المتبقية من البيمارستان في مدينة دمشق.

أما أهم المصادر التي اعتمد عليها في كتابة البحث كانت مصادر تتعلق بالعصور التي بني فيه البيمارستان وما تعرض إليه من نكبات وتغيرات أثرت في عمارته وتصميمه، وذلك لغناها بالمعلومات سواء من الناحية السياسية أو الحضارية مثل: كتاب عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية

لأبي شامة، وكتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة الذي يعد ثروة تاريخية وطبية من ناحية حديثه عن الأطباء الذين عملوا داخل البيمارستان وساهموا بنهضته.

أما بالنسبة لكتب الرحالة فاعتمد على كتاب رحلة ابن جبير الذي قدم تفصيل عن الوضع الخدمي داخل البيمارستان النوري، إضافة لكتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك للظاهري الذي ساهم أيضاً بإيضاح الواقع الخدمي عبر إشارة كانت مفتاح لمعرفة الواقع الخدمي في البيمارستان، وكتاب رحلة ابن بطوطة الذي ذكر رواية قليل من كتب عنها، ذكرت سبب بناء البيمارستان.

أولاً: تعريف البيمارستان وأنواعه:

البيمارستان كلمة فارسية معناها (بيمار) وتعني المريض، و(ستان) معناها أرض، فتصبح مكان المريض أو المستشفى، ثم اختصرت لتصبح مارستان[1]، واستعمل العرب المسلمين اللفظ في العصور الوسطى للدلالة على المشفى، أما أنواعه فقد تعددت وكان من أهمها:

أ- البيمارستانات الثابتة:

هي بيمارستانات بنائها ثابت في مكان خاص مزود بماء جارٍ وصيدلية[2]، ومهمتها العمل ليلاً ونهاراً على خدمة المرضى، كما تقسم إلى

[1]- دهمان (محمد أحمد): **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1990م، ص41.

[2]- القلقشندي (أبو العباس أحمد): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المطبعة الأميرية، مصر، 1914م، ج4، ص10.

قسمين: قسم خاص بالذكور وقسم بالإناث[1]، وقد انتشر هذا النوع من البيمارستانات في المدن الكبرى مثل القاهرة وبغداد ودمشق، ويعود الاهتمام بهذا النوع من البيمارستانات إلى العصر العباسي، أما أنشائها فيعود إلى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك في سنة (88هـ/706م)، ومن هذا النوع كان البيمارستان النوري في مدينة دمشق.[2]

ب- البيمارستانات المحمولة (المنقولة):

ظهر هذا النوع من البيمارستانات في العصر العباسي خلال عهد الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م)، ومهمتها كانت الوصول بالخدمات الطبية إلى المناطق البعيدة التي لا يوجد فيها أطباء مثل القرى والأرياف، والاهتمام بالسجون، خاصةً عند أنتشار الأوبئة والأمراض[3]، وذلك لأن هذه البيمارستانات تنتقل من مكان إلى أخر وهي مزودة بكافة المستلزمات الطبية، حتى أنها تحوي غرف للعمليات الجراحية وأطباء جراحين.[4]

ثانياً: خصائص فن العمارة في العصر السلجوقي:

واكب الازدهار الحضاري في مصر خلال عصر الدولة الفاطمية الازدهار الحضاري في الشام على يد السلاجقة الذين حكموا خراسان ثم سيطروا على العراق والأناضول وبلاد الشام، ليمنح ذلك الفنون في المشرق العربي الإسلامي

---

[1]- طوقان (قدرى حافظ): **علماء العرب وما أعطوه للحضارة**، منشورات الفاخرية، الرياض، د.ت، ص25-26.

[2]- عيسى (أحمد): **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، د.ت ص11.

[3]- ابن القفطي (علي بن يوسف): **تاريخ الحكماء**، تح: جوليوس ليبرت، د.ن، ألمانيا، 1903م، ص193-194.

[4]- عبد الله البابا (مؤمن أنيس): **البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م، ص55-56.

نوع من التجديد والأبداع الذي ظهر في الهندسة البنائية والعناصر المعمارية والفنون الزخرفية[1]، إذ كان من أهم مميزات هذا الابداع المعماري احتواء مبانيه على الإيوان الذي هو عبارة عن قاعة أو غرفة ذات ثلاث جدران، لأن الجدار الرابع يكون مفتوح على الفناء الخارجي أو الساحة غير المسقوفة التي تتوسط البناء، ويكون هذا الفناء مسقوف في بعض المناطق ذات الطقس البارد، ويحتوي على بركة ماء في وسطه، ويسمى هذا الفناء بالصحن، كما ازداد الاهتمام بإنشاء التربة أو الأضرحة، التي قد تكون مستقلة أو ملحقة بالبناء مثل المساجد[2]، كذلك استعمل السلاجقة الأقباء أو القباب في تسقيف الغرف والقاعات، والتي تحمل على حنايا ركنية في زوايا الغرف، وهذه الأقباء ذات عقود نصف اسطوانية أو متقاطعة، كما استعملت الأبواب قليلة الارتفاع التي تحوي في أعلاها أقواس مدببة (أي تتجاوز نصف الدائرة).

أما الزخرفة فقد عرف السلاجقة المقرصنات كعنصر معماري لأول مرة[3]، إذ كانت المقرنصات على نمط المحاريب صغيرة الحجم تتلاصق مع بعضها البعض لتقدم طراز زخرفي بديع المشهد، كما زخرفوا المباني بالحجر المنحوت والنقوش النباتية والهندسية إضافة للكتابات[4] التي مثلت بالخطين الكوفي والنسخي أو الثلث[5]، واستخدموا الآجر في الزخرفة، وكان له لون وحيد هو

---

[1]- الريحاوي (عبد القادر): **العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سوريا**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979م، ص99.

[2]- خربوطلي (شكران) وآخرون: **الحضارة العربية الإسلامية (آثار وفنون)**، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2008م، ص122.

[3]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص100.

[4]- خربوطلي وآخرون: **الحضارة العربية**، ص123.

[5]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص100.

الفيروزي، كذلك ظهرت الفسيفساء الرخامية لأول مرة في العمارة الإسلامية، كما شاع في مواضيع النحت تمثيل الكائنات الحية[1].

وقد بلغت فنون العمارة والزخرفة السلجوقية أوجها في عهد السلطان نور الدين محمود زنكي[2] (541-569هـ/1149-1174م)، وتأصلت المبتكرات الفنية في عهده لترفع من قيمة العمارة الإسلامية[3].

ثالثاً: تاريخ بناء البيمارستان النوري وأسبابه:

بناه السلطان نور الدين محمود زنكي سنة (549هـ/1154م)[4] عند مدخل مدينة دمشق[5]، إلى الجنوب الغربي من الجامع الأموي، بين الجامع الأموي وقلعة دمشق، وهو جزء من سوق الحميدية، وإلى شماله الطريق المؤدي إلى العصرونية، حتى أن سور المدينة الرومانية القديم كان يمر فيه.

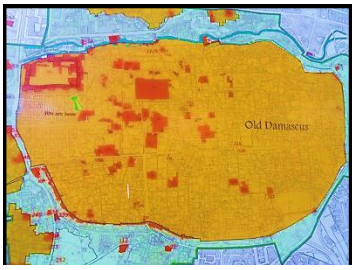

[1]- خربوطلي وآخرون: **الحضارة العربية**، ص123 – 124.

[2]- نور الدين الملك العادل أبو القاسم محمود بن عماد الدين وهو أبو سعيد زنكي بن قسيم الدولة أق سنقر التركي، تملك حلب بعد أبيه ثم أخذ دمشق، وملكها عشرين عاماً، ولد في شوال سنة (511هـ/1117م) وقاتل الفرنجة. أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل): **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تح: أحمد البيسومي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1991م، ج1، ص181؛ ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار المسرة، بيروت، ط2 ،1979م، ج4، ص228.

[3]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص100- 101.

[4]- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله): **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المملكة المغربية، 1997م، ج1، ص264.

[5]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص108.

(الصورة رقم1): موقع البيمارستان النوري في مدينة دمشق؛
(المتحف الوطني للطب والعلوم، دمشق).

وقد بني البيمارستان لأهداف طبية واجتماعية، حيث رتب البيمارستان وأوقفت الأوقاف عليه لرعاية الناس من كافة فئات المجتمع، فكان من أعظم البيمارستانات التي بناها السلطان نور الدين محمود بن زنكي، وقال أبو شامة أن السلطان نور الدين بنى العديد من البيمارستانات لكن البيمارستان النوري أعظمها[1]، بذلك أكد أبو شامة على أهمية البيمارستان النوري وفضله، وميزه عن باقي البيمارستانات التي بنيت قبل العصر السلجوقي، ومنها كان أول بيمارستان عرفته مدينة دمشق في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي (86-96هـ/705-715م)[2]، رغم الحديث عن بيمارستان صغير يعود إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-681م) أو إلى ابنه.[3]

أما سبب بناء البيمارستان فقد اختلفت الروايات فيه، حيث ذكر أنّ السلطان نور الدين محمود زنكي أسر في بعض الحملات أحد ملوك الفرنجة واستشار الأمراء في أمره بين قتله أو فداء نفسه بمال، ليصل السلطان نور الدين إلى فكرة إطلاق سراحه مقابل المال، لكن الفرنجي بعد أن أرسل المال إلى السلطان نور الدين توفي في بلده، فأعجب نور الدين بذلك وبنى من المال الذي بعثه والمقدر بثلاثمائة ألف دينار البيمارستان النوري في مدينة دمشق[4]، وهناك رواية أخرى تتحدث عن رجل ضعيف كان يملك نحاس يريد تقديمه لعرس ابنته،

---

[1]- أبو شامة: **عيون الروضتين**، ج1، ص369.

[2]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص109.

[3]- عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص133؛ وابنه هو الخليفة يزيد بن معاوية الذي استلم الحكم بعد أبيه (60-64هـ / 681-684م). ابن الطقطقا (محمد بن علي): **الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص103، 113.

[4]- ابن كثير (إسماعيل بن عمر): **البداية والنهاية**، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، 1998م، ج16، ص486.

ولكن خلط هذا النحاس مع مادة حولته إلى ذهب تدعى هذه المادة بالإكسير، وعرض للنار هذا النحاس أو المتحول إلى الذهب، ثم أرسله إلى السلطان نور الدين من أجل بناء البيمارستان للمرضى، وهكذا بني هذا البيمارستان المعروف باسمه[1]، فمن الواضح الاختلاف بين الروايتين الأولى تؤكد على مدى عظمة السلطان ورحمته فمن مال أسير أحترم وعده وميثاقه مع السلطان بني البيمارستان، أما الرواية الثانية يظهر فيها الغش والتلاعب في العملة وبناء البيمارستان يعني تعظيم هذا الأمر في الدولة، وذلك يشجع الغش في عملتها، لذلك من المرجح أن سبب بنائه الأسير الفرنجي رغم أن السلطان لم يسمي البيمارستان باسم الأسير لكن ذلك لا ينفي أهمية الرواية.

أما عن الأحداث التاريخية التي تعرض لها البيمارستان، فقد ذكرت المصادر عدة نكبات أو أزمات طبيعية تعرض لها منها: الزلزلة الهائلة التي امتدت من الصعيد في مصر إلى دمشق سنة (597هـ/1200م) لتؤثر على منارة جامع دمشق والكلاسة وتسقط بعض أجزاء البيمارستان النوري[2]، وذكر أنه في سنة (728هـ/1327م) ضرب السيل البيمارستان النوري.[3]

كما أن معالمه المعمارية والتاريخية تبدلت بعد عهد مؤسسه السلطان نور الدين، ففي سنة (635هـ/1237م) زاد عليه بدر الدين[4] الدور وزاد من

---

[1]- ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ج1، ص264.

[2]- ابن تغري بردي (يوسف بن سيف الدين): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ج6، ص157.

[3]- ابن الوردي (عمر بن مظفر): **تاريخ ابن الوردي**، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م، ج2، ص413؛ عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص136.

[4]- بدر الدين ابن قاضي بعلبك كان حياً سنة (635هـ/1237م)، ولاه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود بن الملك العادل الرئاسة على جميع الاطباء، والكحالين، والجراحين. عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص136.

حجم قاعاته الصغيرة وأجرى الماء إليه، وفي منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي بنيت القاعات اليمنى بعد المدخل، ثم في سنة (682هـ/1283م) جددت بعض أقسامه في زمن السلطان قلاوون[1]، وفي نيابة آرغون شاه (ت:750هـ/1349م) سنة (749هـ/1348م) جددت القاعة اليمنى من البيمارستان النوري، وعندما تولى وقف البيمارستان النوري حسن باشا عبد الله الأمين المعروف بشوريزه حسن (ت:1027هـ/1617م) عمرت أوقافه واقيمت شعائره.[2]

وبقي البيمارستان يعالج فيه المرضى حتى سنة (1317هـ/1899م)، عندما ذكر أحمد عيسى أنّ الأستاذ محمد كرد علي بك وهو من أعلام دمشق أخبره أنّ البيمارستان النوري ظل يعالج فيه المرضى حتى قامت بلدية دمشق في ولاية حسن ناظم باشا (ت:1332هـ/1913م) الذي كان والي سوريا بإنشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي من التكية السليمانية خلف البيمارستان النوري، وسمي بالمستشفى الحميدي نسبة للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1293-1327هـ/1876-1909م) لتحول إليه أوقاف البيمارستان النوري، ثم جعل البيمارستان النوري ميتماً للبنات، وفي سنة (1356هـ/1937م) أتخذ مدرسة للتجارة [3]، ليجدد بنائه بين عامي (1357-1365هـ/1938 - 1945م).

---

[1]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص110؛ قلاوون: الملك المنصور سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون التركي الصالحي النجمي كان من أكبر الأمراء في زمن الظاهر، وأصبح ملك سنة (679هـ/1280م) في مصر حارب التتار والفرنجة، وتوفي سنة 689هـ/1290م. ابن العماد: **شذرات الذهب**، ج5، ص409 - 410.

[2]- ابن فضل الله المحبي (محمد أمين): **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، المطبعة الوهيبة، لبنان، 1867م، ج2، ص25.

[3]- عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص137.

وذكر العشي أنه في سنة (1375هـ/1955م) ظهر كنزاً من الذهب يعود للعصر الأموي بالقرب من البيمارستان النوري وأقدم هذه النقود من سنة (78هـ/697م)[1]، لذلك لا يستبعد أن يكون المشفى من بناء الأمويين وطوره السلطان نور الدين محمود، لكن ما من دليل يؤكد ذلك فالنقود المطمورة لا تعد دليل على أن المشفى أموي التصميم.

أما في الوقت الراهن فقد قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف في مدينة دمشق بترميمه وتحويله إلى متحف للطب والعلوم عند العرب[2]،كما أثر المخطط التنظيمي الجديد لمدينة دمشق على البيمارستان النوري.[3]

(الصورة رقم2): مسقط افقي للبيمارستان النوري بعد ان تحول لمتحف الطب والعلوم؛ (المتحف الوطني للطب والعلوم، دمشق).

رابعاً: العناصر المستخدمة في بناء البيمارستان النوري:

[1]- العشي (أبو الفرج): **الكنز الذهبي الأموي**، مجلة الحوليات الأثرية السورية، دمشق، 1954م، مج4-5، ص21.

[2]- عبد الرحمن (عمار): **العمارة الإسلامية في دمشق**، المديرية العامة للآثار والمتاحف مركز الباسل، دمشق، 2008م، ص57 – 58.

[3]- **دراسة للجنة الأونيسكو الدولية**، مجلة الحوليات الأثرية السورية، دمشق، 1953م، مج3، ص39 – 40.

استخدم في بناء البيمارستان النوري عدة عناصر معمارية تدل على التميز الفني والأبداع المعماري للبيمارستان، حيث كان الحجر أهم المواد الأساسية في عمائر نور الدين محمود زنكي الذي لم يستخدم الآجر واللبن إلا نادراً، خلافاً للعمارة الإسلامية في إيران والعراق[1]، حتى أن الواجهة الرخامية عدا المقرنصات والنقوش التي حولها من الحجر الضخم وواجهات الصحن كلها من الحجر أيضاً، كما استخدم في بناء العقود الحجر المنحوت والحجر الطري، أما التاج الذي فوق الباب الخارجي فأنه يشبه التيجان الموجودة في تدمر، ويسمى بالساكف وهو منقول من بناء قديم يعود للعصر الروماني[2].

(الصورة رقم3): الباب الرئيسي للبيمارستان النوري؛
(عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص134).

وفي الزخرفة استخدم الجص خاصةً في المنطقة التي تعلو باب البيمارستان[3]، والخشب الذي استعمل في عتبات الأبواب، فكان بعضه بسيط وبعضه الأخر منقوش[4]، إضافة للمونة التي استخدمت في مفاصل البناء بين الأحجار.

[1]- خربوطلي وآخرون: **الحضارة العربية**، ص124.

[2]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص112؛ خماش: **دراسات**، ص110،112.

[3]- الحمصي (أحمد فائز): **روائع العمارة العربية الإسلامية في سوريا**، وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1982م، ص87.

[4]- خماش (نجدة): **دراسات في الآثار الاسلامية**، مطبعة رياض، دمشق، 1982م، ص106.

خامساً: مخطط بناء البيمارستان النوري:

تأثر بناء البيمارستان النوري بالعمارة الفارسية، حيث تألف البيمارستان من باحة سماوية بشكل مستطيل أطواله (20 × 15م)، وفي وسطه بحرة ماء واسعة مستطيلة أيضاً (7 × 8.5م) بنيت من الحجر المنحوت، ويوجد لزواياها من الداخل حنايا ذات مظهر أسطواني[1].

(الصورة رقم4-5): الصحن الغير مسقوف، وبركة الماء؛
(المتحف الوطني للطب والعلوم، دمشق).

أما مدخل البيمارستان فيتألف من باب يعلوه زخارف جصية تم إنشاؤها في عهد السلطان نور الدين محمود، وهي محاريب ذات أقواس مفصصة، وهذه الزخارف تعود للعصر الأموي **(قصر الحير الغربي)**[2]، وقد صممت من تسع مداميك من المقرنصات تعلو الأقواس، وهي تعتمد على شكل الورقة المجففة، وهذا النوع من الفن جديد في بلاد الشام أتى به السلاجقة[3].

[1]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص110.

[2]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص112.

[3]- الحمصي: **روائع العمارة العربية**، ص87.

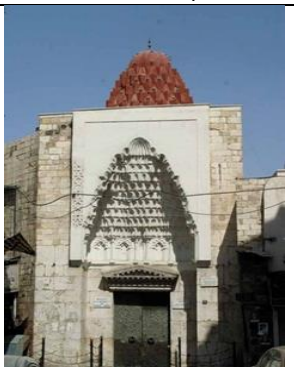

(الصورة رقم6): المدخل الخارجي للبيمارستان النوري؛
(عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص139).

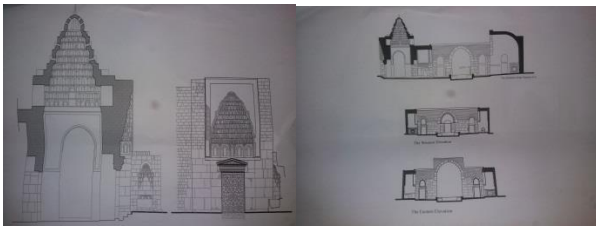

(الصورة رقم7–8): واجهة البيمارستان النوري؛
(المتحف الوطني للطب والعلوم، دمشق).

كما أن الباب مفتوح من الجهة الغربية، وهو مؤلف من درفتين من الخشب صفّحت بالنحاس وله زخارف ذات أشكال هندسية، كتب بها في الأعلى سطر بالخط النسخي[1]، ويوجد في كل درفة من الباب دقاقة نحاسية مستديرة ومخرمة، أما الباب الداخلي فيحتوي على كتابات تتحدث عن الصدقات التي تمت للبيمارستان تحت القبة الظاهرية[2]، ويسمى الممر الذي يصل ما بين الباب والصحن بالدهليز الذي يحوي الدركات، وهي غرفة مربعة الشكل (5×5م) مسقوفة بقبة عالية تغطيها المقرنصات، ويوجد على جانبيها إيوانان صغيران معقودان بالمقرنصات[3]، وينتهي الدهليز بالصحن أو الباحة السماوية غير

[1]– الريحاوي: **العمارة العربية**، ص110 ،112.

[2]– عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص138.

[3]– الريحاوي: **العمارة العربية**، ص112.

المسقوفة، والتي يحيط بها أربعة أواوين تتقابل مع بعضها البعض، وأربع قاعات رئيسية لها أبواب على الصحن[1]، حيث أنّ الإيوان الغربي يأتي بعد المدخل للبيمارستان أي في نهاية الدهليز، وفي داخله زخارف من المقرنصات، ويحيط به قاعتين من الأربع قاعات يصله بهم بابان صغيران، وهذه القاعتين مستطيلتين، ويعلو البابان قوس مدبب من النوع المتجاوز[2]، والأبواب التي تصل هاتين الغرفتين بالصحن مستطيلة يعلوها منور له مظهر الشبك من الجص مزخرف بالخيوط المتداخلة والأشكال النجمية ومحاط بإطار جميل من الأوراق النباتية[3].

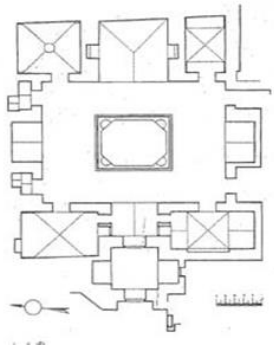

(الصورة رقم9): مسقط افقي للبيمارستان قبل التجديد؛
(المتحف الوطني للطب والعلوم، دمشق).

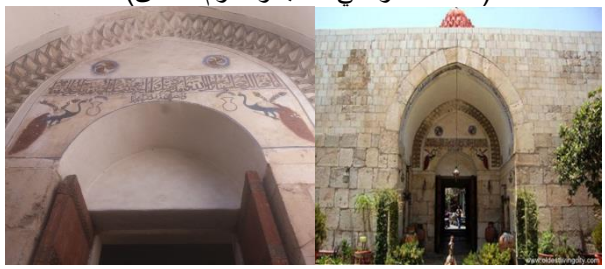

(الصورة رقم10-11): الباب الداخلي للبيمارستان؛
(المتحف الوطني للطب والعلوم، دمشق).

[1]- خربوطلي وآخرون: **الحضارة العربية**، ص124 – 125.

[2]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص112-113.

[3]- خماش: **دراسات**، ص107.

أما الإيوان الجنوبي فيحتوي على كسوة رخامية، تتألف من محراب في صدره لوح رخامي منقوش بالزخارف النباتية، وله إطار تزينه النقوش، ويحيط به قوس فقراته من الرخام الملون محمول على سويريتين (عمودين صغيرين) من الرخام نحتت عليه أقنية حلزونية، ويعلوهما تاجان من النوع الكورنثي المتطور الذي يعود للحضارة اليونانية[1]، كما يحتوي على فسيفساء من النوع المعروف (بالمشقف) تملأ الزوايا الناشئة عن الفراغ بين عقد المحراب والمستطيل[2]، ويحيط بالوزرة الرخامية في الأعلى شريط من الحجارة السماقية اللون منقوشة بالزخارف يتوسطها حجر نقشت عليه زنبقة ضمن دائرة وهذه الزنبقة هي شعار نور الدين[3].

وكان الإيوان الشرقي أكبر الأواوين أطواله (8 × 7.5 م)، حيث خصص لدراسة الطب وإلقاء المحاضرات، وكان يوجد فيه خزانتان من الكتب داخل الجدار، أي يحتوي على المكتبة التي أوقف نور الدين محمود الكتب الطبية عليها والأموال، بذلك كان للبيمارستان أهمية علمية وثقافية إلى جانب أهميته الطبية كمشفى لعلاج المرضى، وللإيوان بابان مسدودان حالياً حول أحدهما إلى محراب[4].

[1]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص113.

[2]- خماش: **دراسات**، ص87.

[3]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص113.

[4]- خماش: **دراسات**، ص108.

(الصورة رقم12): الإيوان الشرقي؛
(عبد الرحمن: العمارة الإسلامية، ص57).

أما التسقيف فقد كان معتمداً على الأقباء أو القباب، وهي طولية مدببة أو متقاطعة باستثناء الدركاه أو قاعة الدهليز التي كانت مسقوفة بقبة تشبه القباب المخروطية في العراق[1].

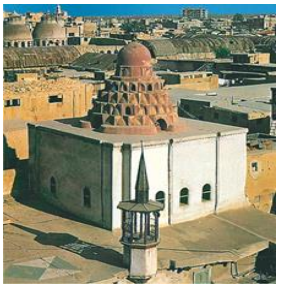

(الصورة رقم13): القبة على المدخل الرئيسي للبيمارستان النوري؛
(المتحف الوطني للطب والعلوم، دمشق).

سادساً: الزخارف والنقوش:

أُشبِع البيمارستان النوري بالزخارف والنقوش التي كانت أبرزها المقرنصات أو المخروط التي نجدها فوق الباب الخارجي وفوق التاج الروماني[2]، وفي القبة فوق المدخل والأيوانان الصغيران المحيطان بالدركاه الموجودة في الدهليز[3].

إضافة للزخارف على النحاس والخشب المنقوش، التي ظهرت على باب البيمارستان المصفح بالنحاس، كما احتوى على زخارف ذات أشكال هندسية وأوراق نباتية[4].

أما بالنسبة للرخام فقد استخدم كأداة زخرفية في البيمارستان، وقد وجد في الإيوان الجنوبي حيث احتوى على كسوة رخامية تتألف من محراب في صدره لوح

[1]- خربوطلي وآخرون: **الحضارة العربية**، ص125.
[2]- خماش: **دراسات**، ص107.
[3]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص112.
[4]- خماش: **دراسات**، ص106.

رخامي، وعلى جانبيه عامودين، كما أنه للإيوان زخارف نباتية متعرجة[1]، وفي الإيوان الشمالي وجد الرخام الملون الذي يتخلله محراب مسطح نقشت عليه عروق نباتية متقنة تعلوه أقواس تتكون فقراتها من الرخام الملون بالتناوب[2].

(الصورة رقم14): صحن البيمارستان النوري؛
(المتحف الوطني للطب والعلوم، دمشق).

وكان يوجد في أعلى اللوح الموجود في الإيوان الجنوبي شريط من الحجر السماقي نقشت عليه كتابة تؤرخ البناء فقد معظمها وبقي منها حجر يحمل زهرة الزنبق التي تمثل شعار نورالدين [3].

كذلك الإنارة كانت معقودة بأقواس حجرية مدببة، تغطيها ستائر جصية (شمسيات) ذات أشكال هندسية، يحيط بها إطار من الزخارف النباتية.[4]

سابعاً: الواقع الخدمي في البيمارستان النوري:

للبيمارستان أهمية كبيرة في حياة الناس كونه مكان لعلاج المرضى ومدرسة لتطوير مهنة الطب وزيادة الخبرة فيها، كما له دور في نفي الخرافات والأوهام التي تحيط بهذه المهنة من العلاج بالشعوذة والسحر.

[1]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص113.
[2]- خربوطلي وآخرون: **الحضارة العربية**، ص126.
[3]- الريحاوي: **العمارة العربية**، ص113.
[4]- خربوطلي وآخرون: **الحضارة العربية**، ص126.

أما عن طرق العلاج داخل البيمارستان كانت ذو نوعين: الأولى: علاج خارجي أي أنّ المريض يتناول الدواء من البيمارستان ثم ينصرف ليتعاطاه في منزله، و الثانية: علاج داخلي حيث يقيم المريض في البيمارستان حتى يشفى[1]، ومن أهم شروط العلاج في البيمارستان توفيره للفقراء والمساكين دون النظر لمكانتهم في المجتمع، وإذا لم يوجد بعض الأدوية النادرة إلا فيه فلا تمنع عن الأغنياء، ومن جاء يريد العلاج فيه فلا يمنع من شرابه، حتى أن السلطان نور الدين محمود زنكي شرب من شرابه[2]، لذلك كان البيمارستان متاح للجميع سواء كانوا من الفئة الحاكمة أو من فئة العامة، كما أن رؤساء البيمارستان كانوا يدوروا على المرضى ليتفقدوا أحوالهم، فعندما أوكلت رئاسة البيمارستان إلى أبي المجد بن أبي الحكم الباهلي[3] كان يتفقد أحوال المرضى ويدور عليهم وكان يرافقه المشرفون وكل ما يكتب للمريض من الدواء والتدبير لا يؤخر عنه.[4]

ومن الناحية العلمية للبيمارستان فقد أوقف نور الدين محمود زنكي جملة من الكتب الطبية على التلاميذ والأطباء، كانت في الخرسانتين داخل صدر الايوان[5]، حيث درس الطب داخل البيمارستان وقرأ الأطباء كتب جالينوس[6] الطبية وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري (ت:282هـ/895م)،

---

[1]- مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص47، 49 – 56، 136.

[2]- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج16، ص486.

[3]- أفضل الدولة أبي المجد بن أبي الحكم، عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي، برع في عدة علوم منها الهندسة والموسيقى والطب، وأشتهر في الطب، توفي سنة (570هـ/1174م). باشا (أحمد تيمور): **أعلام المهندسين في الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص31.

[4]- مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص158.

[5]- عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص135.

[6]- اسمه كلوديوس جالينوس طبيب إغريقي عاصر الدولة الرومانية، وكان أحد أشهر أطبائها، ولد في برغاموس من ميسية سنة (131م) وتوفي في صقلية نحو سنة (200م)، تعلم الطب في السابعة عشر

ليعرف العصر الزنكي بفضل ذلك مهنة مسؤول صرف العلاج للمرضى، والأفيون الذي استخدم كمادة مخدر للجسم[1]، وذكر ابن جبير الواقع الخدمي في البيمارستان خلال زيارته لمدينة دمشق فقال: " **في دمشق مارستانان قديم وحديث، والحديث أحفلهما وأكبرهما، وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً، وله قومة بأيديهم الأزمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها في الأدوية والأغذية وغير ذلك، والأطباء يبكرون إليه في كل يوم يتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم** "[2]، ومما يظهر قوة الطب في تلك الفترة والواقع الخدمي المميز هو ما جاء عن قول غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري في أثناء زيارته لدمشق أيضاً عندما قال: " **في دمشق بيمارستان لم يرَ مثله في الدنيا قط، واتفقت نكتة أحببت ذكرها وهي أن دخلت دمشق في سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة وكان بصحبتي شخص عجمي من أهل الفضل والذوق واللطافة وكان قاصد الحج في تلك السنة وألف مناسك الحج على أربعة مذاهب فلما دخل البيمارستان المذكور ونظر ما فيه من المأكل والتحف واللطائف التي لا تحصر قصد اختبار حال البيمارستان المذكور فلما جسّ نبضه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوة والأشربة والفواكه المتنوعة ثم بعد ثلاثة أيام كتب له ورقة من معناها**

من عمره، أشهر الكتب التي ألفها كانت عن التشريح. المعلوف (عيسى إسكندر): **تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص31.

[1]- مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص32.

[2]- ابن جبير (محمد بن أحمد): **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص255.

أنّ الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام وهذا في غاية الحذاقة والظرافة "[1]، ما يعني أن البيمارستان استخدم كدار للضيافة أيضاً وليس لعلاج المرضى فقط، كما أن ذلك لا يعني أنّ الأطباء كانوا دائماً يصيبون في تشخيص حالة المريض أو علاجه فقد حدثت عملية جراحية لعضو أحد المرضى في البيمارستان النوري على يد الطبيب ابن حمدان الجرائحي، وعمل له العملية الجراحية على ما يجب فجرت منه ماء صفراء، وكان ابن مطران يتفقد له النبض فأمر بشد الرباط على المريض، وأن يستلقي، وأمر زوجته بعدم فك الرباط فخالفت كلامه وسرى الماء الأصفر على جسمه فهلك المريض[2].

أما الوظائف التي عرفت داخل البيمارستان النوري فأنها كانت متعددة ومنظمة لتحسين أدارة البيمارستان وتطوير عملية العلاج داخله، حيث عرف فيه وظيفة رئيس الأطباء التي مثلها عدد من الشخصيات مثل أمين الدين سليمان بن داوود الدمشقي[3] الذي كان رئيس الأطباء في البيمارستان النوري، ووظيفة الكحالون وهي تختص بأمراض العيون مثلها: الشريف الكاحل أبو الفضل سليمان المصري النصراني[4] الأصل طبيب العيون في البيمارستان النوري الذي

---

[1]- ابن شاهين (خليل): **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، مطبعة الجمهورية، باريس، 1892م، ص44 – 45.

[2]- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة): **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص656.

[3]- بدر الدين محمد ابن رئيس الأطباء أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري من سلالة سعد بن معاذ، أصله من السويداء في حوران، سمع الحديث وبرع في الطب، توفي حوالي سنة (732هـ/1331م). النعيمي (عبد القادر بن محمد): **الدارس في تاريخ المدارس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ج2، ص103-104.

[4]- هو السيد برهان الدين أبو الفضل سليمان أهله من مصر وانتقل إلى الشام، كان مثقف في اللغة العربية وعلومها، خدم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتوفي في عهده. ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص660.

برع في صنع الكحلة، ووظيفة كتاب البيمارستان (المشرف الإداري) مثل: عبد الرحمن السيرجي[1] الأبي المتميز بعلم الفرائض، وكذلك وظيفة صاحب ديوان البيمارستان ومتولي أمره كعبد الجليل بن عمر بن محمد بن بكر المقدسي الحنيفي الطبيب، الذي قدم إلى دمشق وتولى البيمارستان النوري، حتى أنه يعود إليه تدبير أمر البيمارستان، ووجد وظيفة الخدم في البيمارستان وهم أقل مرتبة من سابقيهم، كان منهم رضي الدين الرحبي[2].

ثامناً: أهم أطباء البيمارستان النوري:

1. **أبو الفضل عبد الكريم المهندس:**

مؤيد الدين أبو الفضل محمد عبد الكريم الحارثي، ولد ونشأ في دمشق، كان عالم في الهندسة والنجوم، ثم عمل طبيب، توفي سنة (559هـ/1163م) عاش نحو سبعين عاماً، له كتاب في الأدوية المفردة.[3]

2. **علي بن المهدي بن المفرج بن عبد الله أبو الحسن الهلالي:**

تعلم الهندسة والطب، ولد سنة (485هـ/1092م)، وكان يمارس الطب في البيمارستان النوري، توفي سنة (562هـ/1166م).

3. **شمس الدين محمد الكلي:**

---

[1]- هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الجلال بن أوحد الدين بن السيرجي، حفظ القرآن وكان خطه جيداً، وهو من أهل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي. السخاوي (محمد بن عبد الرحمن): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجليل، بيروت، د.ت، ج4، ص121.

[2]- مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص114-130.

[3]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص669-671؛ الزركلي (خير الدين): **الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م، ج6، ص215.

الحكيم العام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي المحاسن خدم طبيب في البيمارستان النوري، وتوفي في القاهرة سنة (570هـ/1174م) [1].

4. **مهذب الدين بن النقاش:**

الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى بن هبة الله النقاش، ولد في بغداد وكان عالم في اللغة العربية والأدب، اشتغل طبيباً، وخدم السلطان نور الدين محمود بن زنكي، فأصبح من كبار أطباء البيمارستان النوري الكبير، كما كان خبيراً في ما يقرأ عليه من كتب جالينوس وغيرها[2]، توفي في دمشق سنة (574هـ/ 1178م).[3]

5. **موفق الدين بن المطران:**

الطبيب موفق الدين أبو النصر أسعد بن أبي الفتح إلياس بن جرجيس المطران، ولد ونشأ في دمشق، خدم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، كان أحد أشهر أطباء البيمارستان النوري، توفي سنة (587 هـ/1191م).

6. **ابن حمدان الجرائحي:**

من أطباء البيمارستان النوري الكبير، كان في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي بارع في علاج المرضى[4].

7. **مهذب الدين أحمد بن الحاجب:**

---

[1]- مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص177.

[2]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص 635-636، 731، 773؛ الزركلي: **الإعلام**، ج5، ص134.

[3]- مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص 17.

[4]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص651، 656، 659؛ عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص140.

كان طبيباً مشهوراً في الصناعة الطبية متقن للعلوم الرياضية، ولد في دمشق وخدم في الطب داخل البيمارستان النوري، كما كان من أطباء صلاح الدين في مصر.

8. محمد بن محمد الحسن أبو عبد الله الملقب بالشريف العالي:

كان عنده خبرة في تركيب الأدوية المركبة في بيمارستان دمشق وبغداد والقاهرة توفي آخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، له كتاب تعاليق على كتاب العلل والأعراض لجالينوس[1].

9. موفق الدين عبد العزيز:

الشيخ الإمام موفق الدين عبد العزيز عبد الجبار بن أبي محمد السلمي، كان يتبرع للمرضى ويشفق عليهم، برع في علم الفقه ثم أصبح طبيباً درس الطب على يد إلياس بن مطران، عمل في البيمارستان النوري، وخدم عند السلطان العادل أبا بكر بن أيوب، توفي في دمشق سنة (604هـ/1207م).[2]

10.كمال الدين الحمصي:

أبو المنصور المظفر علي بن ناصر القرشي، عمل في الطب والأدب، وكان يعالج المرضى في البيمارستان النوري إرضاءً لله، توفي سنة (613هـ/1216م) له عدة مقالات منها: مقالة في الحياة، ومقالة في الاستسقاء، وكتاب تعاليق البول[3].

11. رشيد الدين علي بن خليفة:

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص659، 501؛ مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص173، 175.

[2]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص671، 700، 739؛ عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص140.

[3]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص682-683؛ الزركلي: **الإعلام**، ج7، ص256.

أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة بن الخزرج، ولد في حلب سنة (579هـ/1183م) توجه إلى مصر ثم الشام، كما جعل البيمارستان النوري مجلساً لتدريس الطب، توفي عام (616هـ/1219م)، وكان من أعلام الطب بدمشق في النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، له عدة تصانيف منها: كتاب تعاليق ومجريات الطب، ومقالة في نسبة النبض[1].

13. ابن اللبودي:

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبدان بن اللبودي، أتقن الطب، وكان له مجلس لتدريس الطب، درس الطب في البيمارستان النوري الكبير، توفي في دمشق سنة (622هـ/1225م)، وله كتاب رسالة في وضع المفاصل وشرح كتاب المسائل لحنين بن إسحاق.[2]

14. مهذب الدين عبد الرحيم بن علي:

الشيخ الإمام مهذب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد يعرف بالدخوار، ولد ونشأ في دمشق، خدم كحالاً بالبيمارستان النوري ثم أصبح طبيباً في مصر، خدم الملك العادل أبو بكر بن أيوب، أقام في دمشق ودرس الطب، وجعل منزله مدرسة للطب، توفي (628هـ/1230م).[3]

15. سديد الدين بن رقيقة:

أبو الثناء محمد بن محمد بن إبراهيم بن شجاع الشباني، ولد سنة (564هـ/1168م) كان طبيب يعالج أمراض العيون، في سنة (632هـ/1234م)

---

[1]- مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص174-175.

[2]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص662؛ الصفدي (خليل بن أيبك): **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج3، ص202-203.

[3]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص731-738؛ ابن العماد: **شذرات الذهب**، ج5، ص127.

وصل الى دمشق زمن السلطان أشرف وعمل طبيب في البيمارستان النوري الكبير توفي في سنة (635هـ/1237م)[1].

16. **عمران الإسرائيلي:**

الحكيم أوحد الدين عمران بن صدقة، ولد في دمشق سنة (561هـ/1165م) تعلم الطب على يد أبيه ثم عمل في البيمارستان النوري، توفي في مدينة حمص سنة (637هـ/1239م) [2].

17. سعد الدين بن عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي:

الحكيم العام سعد الدين أبو إسحق إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي محمد السلمي، ولد في دمشق سنة (593هـ/1196م)، خدم في البيمارستان النوري، وتوفي سنة (644هـ/1246م) في دمشق[3].

18. الجمال المحقق أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي:

اشتغل بالفقه، وكان فاضل في الطب، توفي سنة (649هـ/1251م) [4].

19. جمال الدين بن الرحبي:

[1]- مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص177.

[2]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص696-697 ؛ عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص141.

[3]- ابن أبي أصيبعة :**عيون الأنباء**، ص671-672؛ مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص177.

[4]- الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج7، ص91؛ عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص142.

جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة بن الرحبي، اشتغل في الطب بالبيمارستان النوري لمدة سنتين، وتوفي سنة (658هـ/1259م) في مدينة القاهرة.[1]

20. شرف الدين بن الرحبي:

أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن حسن الرحبي، ولد في دمشق سنة (583هـ/1187م)، واشتغل بالطب في البيمارستان النوري، توفي سنة (667هـ/1268م).[2]

21. رضي الدين الرحبي (583-667هـ/1187-1268م):

الشيخ الحكيم الإمام رضي الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي.[3]

22. عز الدين بن السويدي:

أبو إسحق إبراهيم بن محمد ولد في مدينة دمشق سنة (600هـ/1203م)، وخدم في البيمارستان النوري.[4]

23. عماد الدين الدنيسري:

عماد الدين أبو عبد الله محمد بن القاضي الخطيب تقي الدين عباس بن أحمد بن عبد الربعي، ولد بدونيسر سنة (605-686هـ/ 1208-1287م)،

---

[1]- عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص142؛ مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص177.

[2]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص675-677؛ عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص142.

[3]- مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص178-179.

[4]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص759؛ الزركلي: **الإعلام**، ج1، ص63.

وخدم في البيمارستان النوري، من كتبه المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة، وأرجوزة الفارق.[1]

24. بدر الدين بن قاضي بعلبك:

الحكيم العام بدر الدين المظفر بن القاضي الإمام مجد الدين عبد الرحمن بن إبراهيم نشأ في مدينة دمشق وعمل في الطب، ثم أصبح رئيساً للأطباء في البيمارستان النوري، له مؤلفات كمقالة في فراج الرقة، وكتاب مفرح النفس في الأدوية.[2]

25. ابن النفيس:

علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي الشهير بابن النفيس، ولد في مدينة دمشق سنة (607هـ/1210م) وهو من أشهر أطباء البيمارستان النوري.[3]

26. جمال الدين بن عبد الله بن عبد السيد:

كان من أطباء البيمارستان النوري في دمشق، توفي سنة (735هـ/1334م).

27. عبد الله بن عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن عبد الحق:

رئيس الجراحين جمال الدين ابن رئيس الأطباء شمس الدين القاهري ويعرف بابن عبد الحق، لازم البيمارستان النوري، وتوفي سنة (891هـ/1486م).[1]

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص761؛ الزركلي :**الإعلام**، ج6، ص183؛ مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص178.

[2]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الانباء**، ص751-755؛ عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص 143.

[3]- عبد الحليم (عماد ممدوح): **مقال عن البيمارستان النوري**، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

وكذلك كان من الأطباء **علي بن عيسى** الذي توفي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي.[2]

- **الخاتمة:**

يلاحظ أن للبيمارستان النوري دور كبير في معالجة المرضى والتخفيف من آلامهم، ولم يكن لمعالجة المرضى فقط إنما كان مدرسة يدرس فيها الطب، ليساهم ذلك في تطور الطب في العالم العربي، ظهر ذلك من خلال عدد الأطباء الذين عملوا داخل البيمارستان وساهموا في تطويره.

كما كان البيمارستان النوري من أفضل العمائر السلجوقية لاحتوائه على معظم العناصر المعمارية التي اشتهر بها العصر السلجوقي، فكان المثل الأعلى للروعة الحضارية في تلك الفترة من الزمن، ظهر ذلك من الزخارف والنقوش التي تضمنها سواء على الحجر أو على الرخام.

ولم يكن بناء هذا البيمارستان إبداع فقط بل كان غاية في المرونة لإدغامه بين عناصر معمارية كانت منذ العصر الروماني مع عناصر معمارية عربية إسلامية، ظهر ذلك من خلال الساكف الذي فوق الباب الخارجي، إضافة للأشكال الهندسية الرائعة التي زينت هذا البناء، وما دل على أهمية بنائه أيضاً اعتناء السلاطين أو أصحاب السلطة به من خلال عمليات الترميم التي قاموا بها واستمرت حتى العصر الحالي، فالبيمارستان النوري من أكثر الآثار العربية

[1]- عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص43.

[2]- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص333؛ مؤمن أنيس: **البيمارستانات الإسلامية**، ص179.

الإسلامية في مدينة دمشق المحافظة على شكلها الحالي، وعلى مخططها سواءً من ناحية الصحن أو بركة الماء أو الأواوين أو الباب الخارجي الذي يمثل فن ملفت أغنى الحضارة العربية وحضارة بلاد الشام بأشكال مقترنة مع حضارة الفرس وشعوب آسيا الوسطى.

وأهم ما يميز هذا البناء هو احتوائه على كتابات تؤكد كيف تم البناء من قبل السلطان نور الدين محمود أق سنقر زنكي، وأهم الذين تصدقوا عليه وساهموا في تطويره، حتى أن البيمارستان النوري يوازي المسجد الأموي من ناحية الأهمية وروعة الفن، حتى شاع صيته في أرجاء العالم العربي الإسلامي، فمعظم الرحالة الذين عرفوا المسجد الأموي وقدموا إلى مدينة دمشق بعد تاريخ بناء البيمارستان، قدموا وصف للبيمارستان واهتمام بالغ فيه.

وأخيراً يوجد بعض الأطباء الذين خدموا في البيمارستان النوري لم يطابق تاريخ وفاتهم مع تاريخ بناء البيمارستان النوري، مثل: علي بن عيسى الذي توفي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي.

- **المصطلحات الهندسية:**

أجر: قطع الطين المشوية بالفرن المستخدمة في أعمال البناء.

أركان القبة: العضائد الكبيرة الحاملة للقبة – زاوية.

إيوان: كلمة فارسية تعني صالة الاستقبال، وحدة معمارية على شكل غرفة من ثلاثة جدران مفتوحة على الفناء.

تكية: دار تعبد وتصوف في العصر العثماني ويسكن بها الدراويش.

دركاه: كلمة فارسية من مقطعين: در= مدخل، كاه = مكان، صالة المدخل خلف الباب.

دهليز: كلمة فارسية داليج او داليز ومعناها ممر، يصل بين الباب الخارجي وداخل البناء.

ساكف: قطعة من الحجر أو الخشب أو المعدن تسند أعلى الباب، وتسمى بالعتبة.

شمسية: حاجز جصي يستر به النوافذ مزخرف بالنقوش، ومعشق بالزجاج الملون.

صحن: مكان غير مسقوف يتوسط البناء.

ضريح: مرقد أو مقام، مدفن شخصية محترمة.

عقد: عنصر معماري مقوس أو منحن له اشكال عديدة.

فسيفساء: قطع صغيرة من الزجاج ترص في أشكال هندسية تستخدم في اكساء الأسطح.

المقرنصات: مجموعة من المحاريب الصغيرة المتدلية والمتراصة مع بعضها البعض، على شكل متموج، يشبه خلايا النحل.

نقش: زخرفة جميلة.

وزرة: الرخام قليل الارتفاع، يستخدم لكساء الأقسام السفلية من الجدران (تشبيها بالأزر الذي يستر به الانسان نصفه السفلي)[1].

- **قائمة المصادر والمراجع:**

أ- قائمة المصادر:

1- خربوطلي وآخرون: **الحضارة العربية**، ص387-398 .

1- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم، ت:688هـ/1289م): **عيون الأبناء في طبقات الأطباء**، تح: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

2 - ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، ت:779هـ/1377م): **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المملكة المغربية، 1997م، ج1.

3 - ابن تغري بردي (أبي المحاسن يوسف الأتابكي، ت:874هـ/1699م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ج6.

4 - ابن جبير (محمد بن أحمد الأندلسي، ت:614هـ/1217م): **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ت.

5- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن، ت:902هـ/1496م): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجليل، بيروت، د.ت، ج4.

6 - أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، ت:665هـ/1266م): **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تح: أحمد البيسومي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1991م، ج1.

7- ابن شاهين (غرس الدين خليل المصري، ت:873هـ/1468م): **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، مطبعة الجمهورية، باريس، 1892م.

8- الصفدي (خليل بن أيبك، ت:764هـ/1362م): **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.

9- ابن الطقطقا (محمد بن علي بن طباطبا، ت:709هـ/1309م): **الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية**، دار صادر، بيروت، د.ت.

10- ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح عبد الحي، ت:1089هـ/1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار المسرة، بيروت، ط2، 1979م.

11- ابن فضل الله المحبي (محمد أمين الدمشقي، ت:1111هـ/1699م) : **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، المطبعة الوهيبة، لبنان، 1867م، ج2.

12- ابن القفطي (علي بن يوسف، ت:646هـ/1248م): **تاريخ الحكماء**، تح: جوليوس ليبرت، د.ن، ألمانيا، 1903م.

13- القلقشندي (شهاب الدين أحمد الفزاري، ت: 821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المطبعة الأميرية، مصر، 1914م، ج4.

14- ابن كثير (إسماعيل بن عمر القرشي، ت:774هـ/1373م): **البداية والنهاية**، تح عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، 1998م، ج16.

15- النعيمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت:927هـ/1521م): **الدارس في تاريخ المدارس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ج2.

16- ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد المعري الكندي، ت:749هـ/1349م): **تاريخ ابن الوردي**، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م، ج2.

ب_ قائمة المراجع:

1- باشا (أحمد تيمور): **أعلام المهندسين في الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

2- الحمصي (أحمد فائز): **روائع العمارة العربية الإسلامية في سوريا**، وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1982م.

3- خربوطلي (شكران) وآخرون: **الحضارة العربية الإسلامية (آثار وفنون)**، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2007 – 2008م.

4- خماش (نجدة): **دراسات في الآثار الإسلامية**، مطبعة رياض، دمشق، 1982م.

5- دهمان (محمد أحمد): **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1990م.

6- الريحاوي (عبد القادر): **العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سوريا**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979م.

7- الزركلي (خير الدين): **الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط5، 1980م.

8- طوقان (قدرى حافظ): **علماء العرب وما أعطوه للحضارة**، منشورات الفاخرية، الرياض، د.ت.

9- عبد الرحمن (عمار): **العمارة الإسلامية في دمشق**، المديرية العامة للآثار والمتاحف مركز الباسل، دمشق، 2008م.

10- عيسى (أحمد): **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، د.ت.

11- المعلوف (عيسى إسكندر): **تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

ت_ قائمة الدوريات:

1 – عبد الحليم (عماد ممدوح): **البيمارستان النوري**، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

2 – العشي (أبو الفرج): **الكنز الذهبي الأموي**، مجلة الحوليات الأثرية السورية، دمشق، 1954م، مج4-5.

3 – **لجنة الأونيسكو الدولية**: مجلة الحوليات الأثرية السورية، دمشق، 1953م، مج3.

ث_ الرسائل العلمية:

1 – عبد الله البابا (مؤمن أنيس): **البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية**، رسالة ماجستير، منشورات الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م.

دراسة مقارنة بين طبقات المجتمع في عصر الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين (434-668هـ/1042-1269م)

جامعة دمشق.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

طالب الدكتوراه: انس صبحي نصار.

إشراف: أ. د فايزة محمد الكلاس.

ملخص باللغة العربية

يتناول البحث طبقات المجتمع في كلا العصرين المرابطي والموحدي دون التطرق للنظام الهرمي الذي أحدثه المهدي محمد بن تومرت لأنه يمثل نقلة نوعية في تاريخ الغرب الإسلامي بعد عودته إلى عصر الرسولﷺ والخلفاء الراشدينﷺ في بنائه لهذا التنظيم، واختير هذا البحث لأهميته في إبراز العامل القبلي كمؤسس للدول في بلاد المغرب العربي واستغلال العامل الديني لدعم هذا التوجه، ففي البداية تقوم الدولة على أسس عقائدية ثم ما تلبث أن تتجه نحو مصالح قبلية سياسية تخدم طائفة معينة على حساب طائفة أخرى، وهذا ما تسبب في سقوط الأندلس بيد الممالك المسيحية الإسبانية، وتقسيم المغرب العربي إلى عدة دول متناحرة ومتصارعة في العصور الوسطى من تاريخ العرب والإسلام.

ملخص باللغة الاجنبية

The research deals with the classes of society in both the Almoravid and Almohad eras without addressing the hierarchical system created by the Mahdi Muhammad bin Tumart because it represents a qualitative leap in the history of the Islamic West after his return to the era of the Prophet and the Rightly Guided Caliphs in his construction of this organization, and this research was chosen for its importance in highlighting the tribal factor as a founder States in the Maghreb countries are exploiting the religious factor to support this trend. In the beginning, the state is based on ideological foundations, then soon it turns towards political tribal interests that serve one sect at the expense of another, and this is what caused the fall of Andalusia into the hands of the Christian Spanish kingdoms, and the division of the Maghreb into Several quarreling and conflicting countries in the Middle Ages from the history of Arabs and Islam.

مخطط البحث:

أولاً: مقدمة.

ثانياً: طبقات المجتمع في عصر المرابطين.

ثالثاً: طبقات المجتمع في عصر الموحدين.

رابعاً: الخاتمة ونتائج الدراسة.

مقدمة:

تعددت طبقات المجتمع وتنوعت في بلاد المغرب والأندلس على مر عصوره الإسلامية توافقاً مع تنوع قبائله وسيادتها عليه، رغم أنها كانت متشابها من حيث تقسيم السلطة على القبائل المسيطرة على الحكم وسيادة المجتمع، وما تبقى كان إمّا قريبة من حكامها أو دونهم، أما الذي يناقشه هذا البحث فهو طبقات المجتمع خلال العصرين المرابطي والموحدي، وما آلت إليه الدولتين من تقسيمات اجتماعية لخدمة مصالحها، ليدفع ذلك بالقبائل الأخرى والقوة المعارضة للانتفاضة في وجه هذه السياسة، ومن بينهم كانت قبائل المصامدة وزناتة في عصر المرابطين عند بدء دعوة محمد بن تومرت الذي استغل كل الأوضاع على كافة الأصعدة لخدمة مشروعه في المغرب ومشروع خلفائه في المغرب والأندلس، خاصة أن الأندلس شهدت ضعف دولة المرابطين الذي أودى بها إلى عصر طوائف ثانٍ، وثورات كان التقسيم الطبقي للمجتمع المحرك الرئيسي لها، أما في عصر خلفاء المهدي بن تومرت فقد عاد التقسيم الطبقي إلى سابق عهده رغم محاولة المهدي إصلاح المجتمع المغربي والمؤاخاة بين قبائله وسكانه، لكنه لم ينجح سوى في بلاد السوس، وذلك يعود إلى اتساع الدولة في عهد الخليفة عبد المؤمن لتصل إلى أوج اتساعها في عهد ابنه يوسف بن عبد المؤمن.

ليبقى السؤال هنا: كيف قسمت الطبقات الاجتماعية في عصر المرابطين؟ ولماذا عاد الخلفاء الموحدين إلى تقسيم الطبقات وفق النهج المرابطي رغم معارضتهم لسياستهم في إدارة المغرب العربي؟ وما هي مكونات المجتمعين؟

للإجابة عن ذلك لا بد من دراسة طبقات المجتمع في كلا العصرين لمعرفة الأسباب والنتائج التي أدت إلى سقوط الدولتين، وعدم تمكنهم من فرض سيادتهم ونهجهم في بلاد الغرب الإسلامي، فمن هذا المنطلق تكون أهمية البحث بإظهاره أن الموحدين كان هدفهم من ثورتهم على المرابطين سياسي قبلي وليس عقائدي كما نادى به مؤسس دولتهم المهدي بن تومرت.

وبهدف الوصول إلى نتائج قيمة ودقيقة للدراسة اعتمد البحث على عدد من المناهج منها: الوصفي التاريخي القائم على سرد الأحداث حسب مصدرها ومن ثم نقدها، والمنهج الاستقرائي التحليلي في تحليل المعلومات والتعليق عليها ومن ثم مقارنتها للوصول إلى المقاربات العامة والمنهج التركيبي لتركيب الأحداث في سياق يخدم موضوع البحث.

- **طبقات المجتمع في عصر المرابطين:**

1) الطبقة الحاكمة:

لم تتخلَّ الدولة المرابطية (434-541هـ/1042-1146م) عن سياسة التنظيم القبلي في تولية المناصب بين أفرادها رغم امتدادها الواسع في أرجاء المغرب والأندلس الإسلامي، إذ بقيت قبيلة صنهاجة صاحبة القيادة العليا في الدولة، وأسرة بني تاشفين وأمرائهم من القبائل الصنهاجية[1] التي ألفت دولة

[1]- صنهاجة: نسبها المؤرخين إلى قبيلة حمير اليمنية وأنهم من أحفاد إفريقيش بن وائل لما خرج إلى المغرب كما ورد عند ابن خلدون عند أشارته عن ابن الكلبي المتوفي 204هـ/ 819م، من بطونها لمتونة وتلكاتة ومسوفة وجدالة وجزولة. ابن خلدون (عبد الرحمن): **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001م، ج6، ص201-204.

المرابطين لمتونة ومسوفة وجدالة كانوا أصحاب السلطة في الدولة دون غيرهم، فقد ورد في الحلل الموشية: " **ولاّهم الأعمال- الأمير يوسف بن تاشفين- وصرف اعيانهم في مهمات الأشغال، فاكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال** "[1]؛ وقال ابن خلدون: " **وقد بدأ يوسف بن تاشفين في ذلك بتقسيم بلاد المغرب على بنيه وأمراء قومه وذويه** "[2]؛ حتى أنهم لم يختلطوا بالقبائل الأخرى، إذ عاشوا في أحياء خاصة بهم مع حشمهم وخدمهم متزهدين[3] " **رجالاً لا عهد لهم بالدعة، ولا علم عندهم برخاء العيش، إنما هم أحدهم فرس يروضه ويستفرهه (يتخيره)، أو سلاح يستجيده، أو صريخ يلبي دعوته** "[4]، لكن زهد الحكام المرابطين لم يستمر طويلاً، فما أن توفى الأمير يوسف بن تاشفين وآل الحكم إلى ابنه الأمير علي بن يوسف حتى أخذ المرابطون ينعمون بترف الحياة؛ فبنوا القصور الفخمة وتأنقّوا في المأكل والملبس، واتخذوا مجالس من الفنانين والمغنين[5]، وأثاروا الرعب والخوف في نفوس السكان خاصةً في الأندلس، أكد ذلك ابن عبدون بقوله: " **يجب أن لا يلثم إلا صنهاجي، أو لمتوني، أو لمطي فإن الحشم[6] والعبيد، ومن لا يجب أن يلثم يلثمون على**

---

[1]- مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م، ص33.

[2]- ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص247.

[3]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص86-87.

[4]- المراكشي (عبد الواحد بن علي): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م، ص123.

[5]- ابن خالقان (الفتح بن محمد): **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تح: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1989م، مج1، ج2، ص463؛ المقري (أحمد بن محمد): **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، 1940م، ج2، ص209.

[6]- ذكر صاحب الحلل الموشية أن الحشم هم قبائل جزولة ولمطة ومصمودة وزناتة. مجهول: **الحلل الموشية**، ص33.

الناس ويهيبونهم ويأتون أبواباً من الفجور كثيرةً بسبب اللثام وهماً "[1]، كل ذلك يفسر سبب الضغينة التي كنتها قبيلة زناتة ومصمودة على الدولة المرابطية وحكامها[2]، فهم قبائل اعتادت على السلطة وفي عصر المرابطين لم يشاركوا ابداً في الحكم، وقد وقعت دولة الموحدين في نفس الخطأ أيضاً.

2) الفقهاء والقضاة:

تعد هذه الطبقة إحدى الركائز الأساسية للدولة وملكها، لأن الحكام مهما بلغوا من سلطة وقوة كانوا يخافون من الفقهاء والقضاة ومن اتهامهم لهم بالفساد والكفر والإلحاد، لذلك حاول الحكام إرضائهم بكافة السبل وإعطاء الشرعية بإحراق الكتب والموافقة على إصدار فتوى التكفير وإعدام من يخرج عن طاعتهم، حتى أن الأمير يوسف بن تاشفين لم يشرع في القضاء على ملوك الطوائف إلا بصدور فتوى منهم[3]، وعدم الأخذ بمشورتهم تكون كارثة يدفعون ثمنها، فالأمير علي بن يوسف بن تاشفين لم يأخذ بنصيحة الفقيه مالك بن وهب[4] عند الإشارة

---

[1]- ابن عبدون (محمد بن أحمد): **رسالة في آداب الحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص28.

[2]- ذكر عمار سليم أن المغرب الأوسط شهد انخفاض كبير في الثراء مع قلة في مشاريع البناء، وسبب ذلك هو الغزوات الهلالية وأثرها على الطرق التجارية التي تربط مدينة سجلماسة بالمغرب الأوسط والأدنى.

Baadj (Amar Salem): **The Struggle for North Africa between ALmohads, Ayyubids, and Banu Ghaniya (Late Twelfth To Early Thirteenth centuries A.D)**, PhD thesis, University of Toronto, 2013, p: 94.

[3]- ابن الخطيب (لسان الدين): **تاريخ المغرب في العصر الوسيط المعروف بأعمال الأعلام**، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ج3، ص250.

[4]- هو مالك بن يحيى بن وهيب بن أحمد بن سعيد الأزدي من كبار الرجال بمعرفة العلوم على تفاريعها تفاريعها وأنواعها، أصله من لورة وولد بأشبيليه سنة 453هـ/ 1061م وتوفي بمدينة مراكش سنة 525هـ/ 1130م. ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك): **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم**

الإشارة إليه بالقضاء على المهدي محمد بن تومرت[1]، مما عجل في سقوط دولة المرابطين، ومن المحتمل أن يكون محمد بن تومرت قد تبنى العقيدة الدينية لمحاربة الفقهاء من اتباع الدولة المرابطية.

أما القضاة فهم العلماء ورجال الدين الذين يعملون على تنفيذ أحكام الدين أيضاً على سائر الرعية لكن بعد الرجوع إلى الفقهاء قبل إصدار أحكامهم[2]، إلى جانب ذلك كان لهم دور بارز في التصدي للموحدين، فالقاضي ابن رشد المتوفي سنة 520هـ/ 1126م نصح الأمراء المرابطين ببناء سور مدينة مراكش[3]، والقاضي أبو الفضل عياض بن موسى المتوفي سنة 544هـ/ 1149م[4] قاد مدينة سبتة للتصدي للموحدين[5]، والقاضي الذي جمع بين

وفقهائهم وأدبائهم، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م، ج3، ص ص897.

[1]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص101؛ الزركشي (محمد بن إبراهيم): **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص5.

[2]- ابن عبدون: **رسالة في آداب الحسبة**، ص9؛ حسن (علي حسن): **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، **1980م**،، ص342.

[3]- ابن القطان: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص150-151؛ ابن عذاري (أحمد بن محمد): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج4، ص72-73.

[4]- أبو الفضل عياض: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب، له مصنفات منها: الإكمال في شرح كتاب مسلم، ومشارق الأنوار والتنبيهات وغيرها من الكتب، ولد بمدينة سبتة سنة 476هـ/ 1083م، تولى قضاء سبتة ثم نقل لقضاء مدينة غرناطة. ابن خلكان (شمس الدين أحمد): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970م، ج3، ص483-485.

[5]- السلاوي (أحمد بن خالد): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج2، ص113-114.

القضاء والقيادة العسكرية عمران بن إبراهيم الصنهاجي الذي ندب لقتال قبيلة برغواطة.[1]

لكن هذه الطبقة من الفقهاء والقضاة تميزت بالثراء الفاحش عن بقية الرعية في عصر المرابطين، فالرعية كثيراً ما كانوا يلتفون حولهم يلتمسون الوساطة والشفاعة منهم رغم سوء صفاتهم، فمن اقترب منهم وعرف حالهم وصفهم بأهل السوء، وصورهم بمظهر المنافق المستغل للنفوذ، الفاسد الأخلاق في حياته الخاصة ومتظاهر أمام الناس بالصلاح والتقوى، فقال ابن خفاجة[2]عنهم:

درسوا العلومَ ليملكوا بجدالهم فيها صدورَ مراتبٍ ومجالسِ
وتزهدوا حتى أصابوا فرصةً في أخذِ مالِ مساجدٍ وكنائسِ.

حتى ابن قزمان ذكر أنهم فقهاء النور فقال:

وفقيه النوارْ إنما هو الخيرِي
بالنهارْ يوري وقارْ وترى بيعُ مرِي
وإذَا كان الليلْ يمضيْ للكاسْ يجرِي
ويصيحْ يا خلاعْ باركَ الله فيكمْ.[3]

حيث يظهر من أبيات الشعر أن رجال الدين تعلموا الشريعة وظهروا بمظهر المتورعين متقني علوم الدين، بهدف الوصول إلى المراتب العالية وجمع المال من أوقاف المساجد والكنائس، وفي الليل يصرفون أموالهم على مجالس اللهو والفسق، ولا يهتمون بمعاناة رعيتهم، لكن الناس هادنت وتقربت من بعضهم لمسلكهم الصحيح وتزهدهم، ومع انهيار دولة المرابطين تزعم الفقهاء والقضاة

[1]– هو من بيت بني أبي الحاج الذين تولوا القضاء في مدينة فاس وعرفوا بالعدل. ابن الأحمر (إسماعيل بن يوسف): **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص44–45.

[2]– ابن خفاجة (أبو أسحق إبراهيم): **ديوان ابن خفاجة**، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، 1994م، ص138.

[3]– ابن قزمان (محمد بن عيسى): **ديوان ابن قزمان**، تح: فيديريكو كورينتى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995م، ص409–410.

مـدنهم فـي الأنـدلس وأعلنـوا الثـورة[1]، مـا تسـبب بمـا عـرف بـ (عصـر الطوائـف الثاني).

وخلاصـة القـول: أن القبائـل المناهضـة للحكومـة المرابطيـة التـي حرمـت عليهـا المناصـب مثـل قبيلـة مصـمودة اسـتغلت هـذه الأوضـاع لإعـلان نهضـتها مـع دعـوة محمد بن تومرت.

3) طبقة العامة:

يطلـق اسـم العامـة علـى كـل النـاس غنـيهم وفقيـرهم ممـن لـم يتبـوأ مناصـب فـي الدولـة، علـى الـرغم مـن أن المـؤرخين أطلقـوا اسـم العامـة ليميـزوهم عـن الأشـراف وأعيـان البلـد[2]، أمـا القصـد مـن الحـديث عـن هـذه الفئـة هـو تقسـيمها إلـى فئتـين: أغنيـاء يسـتغلون النزاعـات لتحصـيل أرزاقهـم، وفقـراء عـانوا مـن سياسـة الاسـتغلال التي تبنتها الدولة، فأصبحوا الوقود الذي يغذي الثورات أو الجنود الذين يقمعوها.

أ- فئة الأغنياء:

تعـد هـذه الفئـة صـاحبة النصـيب الأكبـر مـن الجـاه والمـال لأنـه عـن طريقهـا يـتم عمليـة البيـع والشـراء بـين الـدول، مـا جعلهـا تـؤثر فـي المجتمـع المرابطـي سـلباً وإيجابـاً، فـالبعض مـن أفرادهـا اهـتم بمـا يرضـي مصـالحه ويحقـق لـه رغباتـه فلـم يهـتم

---

[1]- الفضـلي (مثنـى فليفـل سـلمان): **الحيـاة الاجتماعيـة فـي الأنـدلس خـلال القـرنين الخـامس والسـادس الهجـريين**، دار مكتبـة عـدنان، بغـداد، ط1، 2015م، ص71-73؛ بوتشـيش (إبـراهيم القـادري): **مباحـث فـي التـاريخ الاجتمـاعي للمغـرب والأنـدلس خـلال عصـر المـرابطين**، دار الطليعـة، بيـروت، 1997م، ص148-149.

[2]- ذكـر أن العامـة خـلاف الخاصـة. الصـفدي (خليـل بـن أيبـك): **نكـت الهميـان فـي نكـت العميـان**، تـح: مصـطفى عبـد القـادر عطـا، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ط1، 2007م، ص12؛ مجمـع اللغـة العربيـة: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م، ص629.

بالحروب[1]، والبعض الآخر كان يقف إلى جانب الطبقة الحاكمة طالما تحقق له مصالحه، وإن لم تستطع تحقيق هذا الهدف فإنه لا يتردد في مساعدة الأعداء للتخلص منها، وهذا ما حصل مع قبيلة زناتة عندما عجزت عن حماية أهل السهول من غارات البدو، وفرضها للأتاوات على تجار سجلماسة، ومنازعة الملثمين لها على الطرق التجارية المارة بديار جدالة ولمتونة، ما جعل الملثمين يستغلون ذلك ليأسسوا دولة المرابطين ذات السلطة السياسية التي تحفظ للتجار والسكان الأمن والاستقرار[2]، لكن دولة المرابطين أيضاً وقعت بما أصاب الدولة الزناتية في فترة الانحطاط من ارتفاع الأسعار والضرائب وهبوط مستوى المعيشة، فاحتكر التجار السلع مساهمين بذلك في إسقاط الدولة بسبب ما حل بالسكان من جوع وأوبئة[3]، أما التجار المخلصون والمنتفعون من سياسة الدولة التي دعمت تجارتهم[4] مثل تجار أغمات وسجلماسة وسلا[5]، فقد وقفوا مناصرين لها في جميع حروبها حتى أن تجار أغمات تصدوا للموحدين مع سكان المدينة.[6]

---

[1]- المقري (أحمد بن محمد): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج4، ص477.

[2]- القلقشندي (أبي العباس أحمد): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج5، ص286-287؛ محمود (حسن أحمد): **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م، ص87-89.

[3]- بوتشيش: **مباحث**، ص210-215.

[4]- ذكر كاميلو أن أساس تأسيس دولة المرابطين هو السيطرة على الطرق التجارية المارة بالصحراء، وتوحيد قبائلها لخدمة مصالحهم.

Rivas (Camilo Gomez): **Berber Role and Abbasid legitimacy: The AL moravids**, Us Santa Cruz, 2020, p:95.

[5]- الإدريسي (محمد بن محمد): **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ج1، ص105، 239.

[6]- ابن القطان: **نظم الجمان**، ص158.

وفي الأندلس كثيراً ما كانت تميل هذه الفئة إلى الشرب واللهو لاهية عما يحيط البلاد من خطر الممالك المسيحية الإسبانية، أظهر ذلك قصيدة لأبي الحسن بن الجد وصف فيها الطبقة الأرستقراطية على أنها طبقة تميل للإهمال والسكر متغاضين عن أمور الجهاد والدفاع عن أرضهم فقال:

ناموا وأسرى لهمْ تحتَ الدُّجى قدرٌ هوى بأنجمهمْ خسفاً وما شعروا
وكيفَ يشعرُ منْ في كفهِ قدحٌ يحدوا بهِ ملهاةُ النايَ والوترَ
صمتْ مسامعهُ عن غيرِ نعمتهِ مما تمرُّ بهِ الآياتُ والسُّورُ
منْ حولهِ كلُّ مغترٍ وما علموا أنَّ الذي زخرفتْ دنياهم غررُ.[1]

ب- فئة الفقراء:

مثل هذه الفئة الفقراء وذوي الدخل المنخفض العاجزين عن ردع آثار الحروب والمجاعات ودفع الضرائب، من صغار الصناع والمزارعين، والمدرسين وصغار التجار، ومن ضمنهم كانت فئة الطلبة التي اشتهر بها المصامدة[2] وقبائل البوادي الذين عانوا من تعالي أفراد قبائلهم على غيرهم من أفراد القبيلة بسبب جبايتهم الضرائب إلى البلاط والاستفادة من الغنائم.[3]

وهذا ما أظهر تبايناً اجتماعياً كان سببه نقمة الفقراء على الأعيان والوجهاء والفقهاء، وأفضى إلى قيام ثورات مثل ثورة قرطبة [4]، وثورة غمارة[1]

---

[1]- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله): **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج2، ص219-220؛ ذكر الشنتريني ملهاةُ = مُذهلاتُ. الشنتريني (علي بن بسام): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، 1978م، ق2، ج1، ص256-257.

[2]- الفقيه عبد الله بن ياسين كان يبعث الأموال إلى الطلبة من المصامدة مما أجتمع عنده من الزكاة والأعشار والأخماس. ابن أبي زرع (علي بن عبد الله): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص126.

[3]- بوتشيش: **مباحث**، ص210، 228-229.

[4]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص86، 102.

التي قادها رجل عرف باسم (ابن الزنر بحارى)، وهذا ما خدم الدعوة الموحدية أيضاً، حيث قدم المهدي بن تومرت نظام الدولة المرابطية على أنه جهاز فاسد مستبد، خاصةً بعد ظهور المتسولين[2] ما أدى لتجاوب المجتمع المرابطي مع دعوته.

4) المرأة:

كان للمرأة دور بارز في المجتمع المرابطي والحراك السياسي داخله فتمتعها بالحرية[3] والنفوذ أعطاها سلطة تحديد ولي العرش، وهذا ما أثار حفيظة محمد بن تومرت عندما نادى بالإصلاح، فزينب النفزاوية[4] زوجة الأمير يوسف بن تاشفين تمتعت بمكانة رفيعة في الدولة، حتى أن تولية زوجها يوسف بن تاشفين كانت بنصيحة قدمتها له[5]، وقمر والدة سير بن علي بن تاشفين عزلت في بادئ الأمر تاشفين بن علي عن الولاية قبل أن تخفق في ذلك[6]، حتى أن المرأة المرابطية برزت في ميادين أخرى مثل تميمة بنت يوسف بن تاشفين التي برزت

---

[1]- ابن عذاري: **البيان**، ج4، ص58.

[2]- بونشيش: **مباحث**، ص190.

[3]- البيذق (أبي بكر بن علي): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1971م، ص13.

[4]- هي زينب بنت أسحق الهوارى ابنة تاجر من مدينة القيروان، تزوجها الأمير أبا بكر بن عمر اللمتوني ابن عم الأمير يوسف بن تاشفين، وعندما أقدم الأمير للذهاب إلى الصحراء طلقها لحسنها وجمالها حتى أنها لقبت بالساحرة لذكائها، هذا الذكاء الذي جعلها تنتقم من الأمير أبي بكر عند زواجها من الأمير يوسف بن تاشفين بتخليصه عرشه في بلاد المغرب ثم مقتله في الصحراء بسهم مسموم بسبب معرفتها لنقطة ضعفه من طيبة قلب وغيرة على الإسلام. ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص134-135؛ السلاوي: **الاستقصا**، ج2، ص21-22.

[5]- ابن عذاري: **البيان**، ج4، ص25؛ ابن الخطيب: **أعلام الأعلام**، ج3، ص232-233؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص245.

[6]- ابن عذاري: **البيان**، ج4، ص97.

في ميادين الشعر والآدب[1]، وفانو بنت عمر بن ينتان التي برزت في الحرب والقتال إلى جانب الرجال عند اشتداد أمر الموحدين[2]، لكن ما دعم دعوة وحجة محمد بن تومرت ضد المرابطين وسياستهم هو ظهور المرأة سافرة الوجه في الأسواق واختلاطها بالرجال، ما أعطى أعداء الدولة المرابطية السبب المقنع للانتفاضة في وجه هذه الظاهرة المخالفة لتعاليم الإسلام، فعندما رأى محمد بن تومرت أخت الأمير علي بن يوسف وهي سافرة الوجه مع جواريها أنكر ذلك وأمرهن بستر وجوههن واستغل ذلك في اتهام المرابطين بالخروج عن الدين[3].

خلاصة القول: أن المرآة المرابطية قوية، غيورة وسافرة سيطرت على شؤون الدولة وسيرت أمورها وهذا ما جعل الرجال ينتفضون في وجه هذه الظاهرة الاجتماعية غير المألوفة في بلاد المغرب الإسلامي تحت راية المهدي محمد بن تومرت.

- **طبقات المجتمع في عصر الخلفاء الموحدين (528-668هـ/1133-1269م):**

تألف المجتمع الموحدي من طبقتين تماماً كما كان عليه المجتمع المرابطي وهم طبقة الحكام أو الطبقة العليا، وطبقة عامة الناس أو الطبقة الدنيا، وهذا يعني أن دعوة المهدي بن تومرت لإزالة الفارق الطبقي لم تلقَ ترحاباً من خلفائه الذين حاولوا فرض تعاليمه على المجتمع، لكنهم اخفقوا في مساعيهم، كما يلاحظ من سياستهم مع العامة، ونورد فيما يأتي أهم الطبقات تشكل منها المجتمع الموحدي:

---

[1]- ابن القاضي (أحمد بن القاضي المكناسي): **جذوة المقتبس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973م، ج1، ص173-174.

[2]- ابن عذاري (أحمد بن محمد): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين**، تح: محمد إبراهيم الكتاني وأخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص29.

[3]- البيذق: **أخبار المهدي**، ص21-22؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص303؛ محمود: **قيام دولة المرابطين**، ص416-417.

1. الطبقة العليا:

ضمّت هذه الطبقة الخلفاء والولاة من أسرة عبد المؤمن بن علي بالإضافة لقبيلته كومية التي تعالى شأنها في عهده[1]، والعلماء والفقهاء والقضاة الذين تقربوا من الخلفاء وأغدقوا عليهم الهبات، حتى تغيرت حياتهم من الفقر إلى الغنى[2]، ورغم أن هذه الطبقة كانت سبب ثورة المهدي بن تومرت على المرابطين إلا أن خلفاؤه لم يهتموا بأهداف الثورة بقدر اهتمامهم في الحفاظ على ملكهم، وما يحسب لهم في هذه الطبقة أنهم ضموا إليها الطلبة الذين ينتموا لقبائل متعددة، ومحاولتهم دمج قبائل زناتة من البتر مع قبائل مصمودة[3] من البرنس لينتج ذلك نوعاً من التآلف بين القبائل لم يكن سائداً من قبل في المغرب العربي[4]، وذلك يعود لمحاولة المهدي بن تومرت بناء دعوة قائمة على مبدأ ديني بدلاً من المبدأ القبلي السياسي، فلم يقدِّم شيوخ قبيلته هرغة على باقي القبائل، وتابع الموحدون ذلك، إذ اعتبروا أنفسهم متفردين بالسلطة كما كان المهدي لكن تحت لواء القبائل الموالية لهم وليس المصامدة فقط.

ولم تضم هذه الطبقة كل من عارض التوحيد من العلماء والفقهاء الذين تعرضوا لبطش وظلم الخلفاء الموحدين، بدأ ذلك مع خلافة عبد المؤمن بن علي

---

[1]- ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص202؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص157.

[2]- حسن: **الحضارة**، ص343-344.

[3]- المصامدة قبائل كثيرة العدد من بطونها برغواطة وغمارة وأهل جبل درن عرفت بالاستقرار والعنف والبطش وبناء الحصون والمعاقل، وهم ابناء مصمود بن يونس بن بربر. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص 275، 245، 299.

[4]- يناقض ابن خلدون ذلك عندما ذكر أن زناتة سخرة مصمودة لمصلحتها في قوله: " **واعتبر هذا في الموحدين مع زناتة لما كانت زناتة أبدى من المصامدة وأشد توحشاً، وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي، فلبسوا صبغتهم وتضاعفت قوة عصبتهم بها، فغلبوا على زناتة أولا...، فلما خلو من تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم زناتة**" لكن ما ذكره ابن خلدون لا ينفي دمج القبيلتين في عصر الموحدين. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج1، ص199.

عندما بنى نظاماً جديداً للدولة لم يبق فيه الموظفين المعارضين لسلطته[1]، وتابع خلفاؤه ذلك فكانوا ينظرون إلى كل من يخالفهم في العقيدة والمبدأ نظرة معادات لأنهم اعتبروهم ليسوا من أهل الإيمان، ليثير ذلك الذعر لدى العلماء، ويظهر ذلك مما ذكره الوهراني عن حكمهم: " **مؤيد من السماء خواض للدماء مسلط على من فوق الماء، حكم سيفه في القمم، وأعمله في رقاب الأمم...، ولو أن للعلم لساناً، وللورقة إنساناً، لتألمت وتظلّمت...، ولكن السكوت عن هذا أرجح، ومسالمة الأفاعي أنجح**"[(2)]، ومما ذكر عن عهد الخليفة عبد المؤمن: " **وأوقعوا المحن بذوي الفروع، وقتلوهم وطرحوهم بالسياط، وألزموهم الإيمان المغلظة من عتق وطلاق وغيرهما، وألا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه**".[(3)]

2. الطبقة العامة من الشعب:

كانت هذه الطبقة في عصر الموحدين مهمشة وربما السبب في ذلك يعود لاهتمام الموحدين بطبقة العلماء والأغنياء، لأن هذه الطبقة لا تضم غنياً أو متعلماً، فعاشت ظروفاً قاسية في ظل الحكم الموحدي، حيث ذمت المصادر التاريخية أفرادها بأشنع الصفات مثل الأوباش والرعاع والسفهاء والأنذال، وربما السبب يعود لاحتوائها المتسولين والمجرمين والمشعوذين، إضافة لأصحاب المهن الهامة مثل الفلاحين والصيادين والرعاة[(4)]، ورغم أن الدولة أسقطت عن

3- Omar (Farag IM): **Structures of government in ALmohad Iberia**, PhD thesis , University Exeter, 2015, p:4.

[2]- الوهراني (ركن الدين محمد بن محمد): **منامات الوهراني ومقاماته ورسائله**، تح: محمد شعلان ومحمد نغش، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 1998م، ص11؛ الصلابي (علي محمد): **دولة الموحدين**، دار البيارق، عمان، 1998م، ص120، 160.

[3]- السملالي (العباس بن إبراهيم): **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م، ج8، ص396.

[4]- بوتشيش: **مباحث**، ص169-170.

هـذه الطبقـة ضـريبة القبالـة[1]، إلا أن الخلفـاء الموحـدين فرضـوا ضـرائب باهظـة علـى أفـراد دولـتهم[2]، وكثيـرا مـا اسـتغلوا فـي الثـورات والاضـطرابات التـي عانـت منهـا دولـة الموحـدين، إضـافة لمعانـاتهم مـن الأوبئـة والمجاعـات، فكـانوا هـم مـن يـدفع ضـريبة كـل ذلـك[3]، لـيلاحظ مـن ذلـك أن أحـوالهم لـم تتغيـر عـن عصـر المـرابطين، لـذلك يمكـن القـول أن ثـورة المهـدي بـن تـومرت لـم تحـمِ هـذه الطبقـة مـن بطش خلفائه.

3. المرأة:

إنَّ التـزام الـدعوة الموحديـة بالشـرع لـم يمنـع المـرأة مـن ممارسـة حقهـا المـدني، فقـد راعـى الموحـدون تعـاليم ابـن تـومرت اتجـاه المـرأة ليمنعـوا حريتهـا الزائـدة وسـفورها، لكـنهم لـم يحرموهـا مـن حقهـا فـي الـتعلم، أو حصـولها علـى مركـز مهـم مثـل زينـب ابنـة الخليفـة يوسـف بـن عبـد المـؤمن التـي برعـت بعلـم الكـلام[4]، وحفصـة الركونيـة[5] التـي درسـت نسـاء الخليفـة المنصـور، وأخـت الطبيـب ابـن زهـر

---

[1]- ضـريبة تـدفع مقابـل عبـور الجسـور والمـرائس تعـرض لهـا المهـدي بـن تـومرت عنـد عبـوره لنهـر أم الربيـع في المغرب العربي. ابن القطان: **نظم الجمان**، ص193.

[2]- بولعسـل (أحسـن): **الضـرائب فـي المغـرب العربـي منـذ عهـد الـولاة حتـى سـقوط الموحـدين (96-668هـ/ 715-1269م)**، دار بهـاء الـدين للنشـر والتوزيـع، قسـنطينة، ط1، 2013م، ص189 ومـا بعدها.

[3]- ابن عذاري: **البيان- قسم الموحدين**، ص351.

[4]- كنون (عبد الله): **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، د.ن، طنجة، 1960م، ج1، ص144.

[5]- حفصـة بنـت الحـاج الركونيـة ولـدت سـنة 530هـ/ 1135م، مـن أسـرة غنيـة، برعـت بـالآدب والشـعر، مـدحت الخليفـة عبـد المـؤمن فقـدم لهـا العطايـا، اختلـف فـي ذكـر سـنة وفاتهـا حيـث ذكـر فـي كتـاب المغـرب لابـن سـعيد أن وفاتهـا كـان سـنة 586هـ/1190م، وذكـر ابـن الخطيـب سـنة وفاتهـا فـي أخـر سـنة 580هـ/1184م أو 581هـ/1185م، لكـن مـن المـرجح مـا ذكـر فـي كتـاب ابـن سـعيد لأن ابـن الخطيـب ذكـر أنهـا درسـت النسـاء فـي دار الخليفـة المنصـور. ابـن سـعيد (علـي بـن موسـى): **المغـرب فـي حلـى المغـرب**، تـح: شـوقي ضـيف، دار المعـارف، القـاهرة، 1955م، ج2، ص138؛ ابـن الخطيـب (لسـان الـدين): **الإحاطـة فـي أخبـار غرناطـة**، تـح: محمـد عبـد الله عنـان، دار المعـارف، مصـر، د.ت، ج1، ص499-502؛ المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص171.

وغيرهم من النساء[1]، كما أن المرأة حضرت المجالس العلمية إلى جانب الرجال[2]، ما يعني أنها تمتعت بحريتها في التعبير، لكنها لم تتدخل في الأمور السياسية حتى نهاية عهد الخليفة المأمون عندما تدخلت زوجته أم الرشيد في تولية ابنها الحكم بعد دفعها الأموال لكبار القادة، ثم أصبحت تسيِّر أمور الدولة مع ابنها[3]، وهذا مشابه لما فعلته قمر أم الأمير علي بن تاشفين، لكن الاختلاف بين المرابطين والموحدين أن المرأة تدخلت في السياسة منذ بداية دولة المرابطين، بعكس الموحدين التي جاء دورها متأخراً.

- **الخاتمة ونتائج الدراسة:**

يلاحظ مما تقدم أن المجتمع المغربي رغم تعدد فئاته وعناصره البشرية كان يعاني من الشرخ الاجتماعي والسياسي والسعي المتبادل بين قبائله للانفراد بالسلطة على حساب القبائل الأخرى سواء بحجج تاريخية أو اجتماعية قبلية وطبقية، رغم كل محاولات المؤرخين لإثبات نقيض ذلك بنسبهم إلى أقوام وشعوب تلبي مصالحهم ودعواتهم كمساهمة في استغلال واقعهم الاجتماعي والقبلي وتحقيق غايتهم في السيطرة على القبائل المغربية الأخرى وتوجيهها، حتى أسرى الحروب والرقيق كانت الغاية من إدخالهم إلى المغرب العربي تأزيم واقعه الاجتماعي[4]، خاصةً أن الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين استغلوا ذلك

---

[1]- دقة (القدري) ولزهري (عوادي): **يعقوب المنصور إسهاماته العلمية وعلاقته بالعلماء (580-595هـ/1184-1199م)**، رسالة ماجستير، جامعة حمه لخضر- الوادي، الجزائر، 2018م، ص26-27.

[2]- أبو الخشب (إبراهيم): **تاريخ الأدب العربي في الأندلس**، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت، ص60.

[3]- ابن عذاري: **البيان- قسم الموحدين**، ص298، 306؛ ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص254؛ ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج1، ص425.

[4]- ذكر باسكال أن المرابطين في عهد الأمير يوسف بن تاشفين استخدموا العبيد والمرتزقة للتخلص من السلطة القبلية التي كانت أساس الدولة، وربما قصد عهد ابنه الأمير علي لأن يوسف لم يظهر في عهده هذه النية بشكل علني بقدر ما ظهرت في عهد ابنه، ويلاحظ من ذلك أن الخلفاء الموحدين أيضاً استخدموا نفس الأسلوب.

لتحقيق مصالحهم السياسية على حساب من أنهوا وجودهم من دول ودعاة، أما أهم ما يلاحظ من خلال الدراسة المقارنة أن الحكم الموحدي لم يتميز عن الحكم المرابطي إلا في الالتزام بتعاليم المهدي من ناحية الحد من نفوذ المرأة، لكن ذلك لم يستمر طويلاً إذ عادت المرأة في فترة ضعف دولة الموحدين إلى التدخل في شؤون الدولة وتسييرها كما كان الحال عليه في عصر المرابطين.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

1- قائمة المصادر:

1. ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد الخزرجي، ت:807هـ/1405م): **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
2. الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، ت: حوالي سنة 560هـ/1166م): **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ج1.
3. ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الخزرجي الأنصاري، ت: 578هـ/1182م): **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م، ج3.
4. البيذق (أبي بكر بن علي الصنهاجي، ت: حوالي سنة 555هـ/1160م): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1971م.

Buresi (Pascal): **Preparing The Almohad Caliphate: The ALmoravids**, The Journal of Middle East Medievalists, University of Mariland, 2018, P:60.

5. ابن خالقان (أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي، ت: 529هـ/1134م): **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تح: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1989م، مج1، ج2.
6. ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد القرطبي، ت:776هـ/1364م): **تاريخ المغرب في العصر الوسيط المعروف بأعمال الأعلام**، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ج3.
7. _____: **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج2.
8. _____: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، د.ت، ج1.
9. ابن خفاجة (أبو أسحق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله الهواري، ت: 533/1138م): **ديوان ابن خفاجة**، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، 1994م.
10. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ت: 808هـ/1405م): **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001م، ج6.
11. ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر الإربلي، ت:681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970م، ج3.
12. ابن أبي زرع (أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي، ت: 720هـ/1320م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

13. الزركشي (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم التونسي، ت: بعد سنة 894هـ/ 1488م): **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.

14. ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك العنسي الغرناطي، ت:685هـ/1286م):: **المغرب في حلى المغرب**، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ج2.

15. السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ت: 1315هـ/1897م): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج2.

16. الشنتريني (أبو الحسن علي بن بسام، ت: 542هـ/1147م): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، 1978م، ق2، ج1.

17. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك، ت:764هـ/1362م): **نكت الهميان في نكت العميان**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م.

18. ابن عبدون (محمد بن أحمد التيجيبي، ت: في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي): **رسالة في آداب الحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

19. ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، ت: بعد سنة 712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج4.

20. _____: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب– قسم الموحدين**، تح: محمد إبراهيم الكتاني وأخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

21. ابن القاضي (أحمد بن القاضي المكناسي، ت: 1025هـ/1616م): **جذوة المقتبس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973م، ج1.

22. ابن قزمان (أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى القرطبي، ت: 555هـ/1160م): **ديوان ابن قزمان**، تح: فيديريكو كورينتى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995م.

23. القلقشندي (أبي العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، ت: 821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج5.

24. مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م.

25. المراكشي (أبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي، ت:647هـ/1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م.

26. المقري (أحمد بن محمد التلمساني، ت:1041هـ/1631م): **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، 1940م، ج2.

27. _____: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج4.

28. الوهراني (ركن الدين محمد بن محمد بن محرز، ت:983هـ/1575م): **مناسات الوهراني ومقاماته ورسائله**، تح: محمد شعلان ومحمد نغش، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 1998م.

2- **قائمة المراجع:**

- **المراجع العربية:**

1. بوتشيش (إبراهيم القادري): **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة، بيروت، 1997م.
2. بولعسل (أحسن): **الضرائب في المغرب العربي منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين (96-668هـ/ 715-1269م)**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2013م.
3. حسن (علي حسن): **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.
4. أبو الخشب (إبراهيم): **تاريخ الأدب العربي في الأندلس**، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.
5. السملالي (العباس بن محمد بن إبراهيم): **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م، ج8.
6. الصلابي (علي محمد): **دولة الموحدين**، دار البيارق، عمان، 1998م.
7. الفضلي (مثنى فليفل سلمان): **الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين**، دار مكتبة عدنان، بغداد، ط1، 2015م.
8. كنون (عبد الله): **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، د.ن، طنجة، 1960م، ج1.
9. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م.
10. محمود (حسن أحمد): **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م.

- **الرسائل العلمية العربية:**

1- دقة (القدري) ولزهري (عوادي): **يعقوب المنصور إسهاماته العلمية وعلاقته بالعلماء (580-595هـ/1184-1199م)**، رسالة ماجستير، جامعة حمه لخضر- الوادي، الجزائر، 2018م.

- **المراجع الأجنبية:**

1- Baadj (Amar Salem): **The Struggle for North Africa between ALmohads, Ayyubids, and Banu Ghaniya (Late Twelfth To Early Thirteenth centuries A.D)**, PhD thesis, University of Toronto, 2013.

2- Buresi (Pascal): **Preparing The Almohad Caliphate: The ALmoravids**, The Journal of Middle East Medievalists, University of Mariland, 2018.

3- Omar (Farag IM): **Structures of government in ALmohad Iberia**, PhD thesis , University Exeter, 2015.

4- Rivas (Camilo Gomez): **Berber Role and Abbasid legitimacy: The AL moravids**, Us Santa Cruz, 2020.